مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

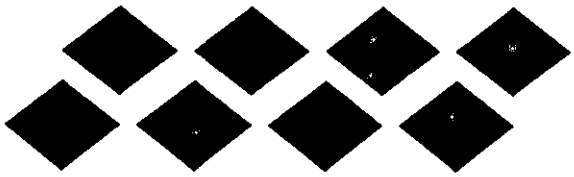

نظام الرهائن فى العصر الإسلامى

د/ سعاد عبدالله محمود
استاذ مساعد التاريخ الإسلامي
قسم التاريخ – كلية الآداب
جامعة حلوان

المقدمة

الرهائن: كلمة الرهائن لها مدلولاها السياسى،والاجتماعى الكبير فى تكوين الدول،والكيانات السياسية حيث كانت وسيلة هامة من وسائل فرض الأمن فى المقام الأول. ولعل من المفيد الإشارة إلى أن إعطاء الرهائن أسلوب اعتادت عليه الدول والأفراد طوال التاريخ، كما كان من أهم الأساليب الشائعة عند العرب والتى مثلت أساساً لضمان الهدوء السياسى والاجتماعى بين القبائل العربية . وكانت الرهائن واحدة من أشكال المواثيق التى لجأوا إليها. وقد توسع المجتمع العربى فيها والقبلى على وجه الخصوص. حيث أدت إلى انتشار الأمن والاستقرار بينهم فى أغلب الأحيان . ولما جاء الإسلام لم ينبذ هذا الأمر بل على العكس صار تبادل الرهائن أو أخذ الرهينة واحدة من الوسائل التى توسع المسلمون فى الاعتماد عليها على امتداد تاريخهم خاصة من خلال دوله سواء فى المشرق أو المغرب الإسلامى.

تعريف الرهينة لغةً واصطلاحاً: تصدى الكثير من علماء اللغة فى الإسلام لتعريف الرهن لحاجة الناس إلى تعريفه.و الرهن فى كلام العرب هو الشئ الملزم يقال: هذا راهن لك أى:دائم محبوس عليك. ويعنى الثبوت والدوام . فقال ابن سيدة الرهن ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه . والرهينة مفرداً وجمعها رهائن . ورهن بكذا أى ضامن. والقول هو رهينة فى أيديهم.والرهن من جملة التوثيقات.

أما اصطلاحاً:عند الحنفية هو جعل الشئ محبوساً بحق يمكن استيفاؤه من الرهن. وعند المالكية الرهن إعطاء امرئ وثيقة بحق.

ونلاحظ اتفاق معنى الرهن فى اللغة والاصطلاح مع نفس الهدف الذى استعمل به فى الحياة السياسية أيضاً. وسوف تتناول هذه الدراسة مسألة الرهائن خلال العصر الإسلامى كما نشير إلى الوضع السياسى والاجتماعى والاقتصادى للرهائن تحت أيدى الدول أو الأشخاص. وتتصدى الدراسة إلى تتبع أخبار الرهائن والأحداث السياسية التى دفعت إلى أخذهم كرهائن وشروط اطلاقهم .

ومما تجدر الإشارة إليه اختلاف معنى كلمة رهينة فى العصر الإسلامى وما قبله عن معناها ومدلولها الآن حيث أنها تدل الآن على الاختطاف من أجل تحقيق مطالب ينادى بها المختطفون،وغالباً ما تتم عمليات الخطف للرهائن على يد جماعات مسلحة

قليلاً ما تكون تابعة للدول،وغالباً ما تخص قضايا دينية أو سياسية أو عسكرية. أى إنها لاتقوم بتنفيذ سياسة دول بل تقوم بها جماعات لها آراء،وأفكار كثير ما تنتحى منحى دينياً وهى شائعة بكل الأديان وليس الإسلام فقط . كما أنها تعد ظاهرة قامت عليها كل الجماعات التحررية،والتى ظهرت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين فى محاولة لاسترداد حقوقهم التى اغتصبتها القوى الاستعمارية حيث أنهم يمثلون قلة لايمكنها التصدى لها بنفس القوة العسكرية هذا إلى جانب شعورهم بالظلم والاضطهاد.فلجأوا إلى هذا الأسلوب فى محاولة للضغط على هذه القوى لتحقيق آمالهم السياسية أو الاجتماعية وغيرها.

فرق المسلمون منذ ظهور دولتهم بين مفهوم الرهينة والخطف فكان هناك فرق شاسع بينهما فالخطف اقتصر عند المسلمين على الحروب فقط. وكان يؤخذ ويعامل فى أغلب الأحيان معاملة الأسير مالم يكن متهماً بقتل أحد المسلمين . كذلك لم يعتمد المسلمون على أسلوب الخطف بل كانت حالات محدودة تمت على نطاق ضيق خاصة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حد انعدام هذا الأمر أغلب العصر الإسلامى . فى حين كانت الرهائن وسيلة زاد الاقبال عليها واللجوء إليها من كل القوى الإسلامية خاصة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين وهما القرنين اللذين شهدا حركة سياسية متشابكة بين الكثير من القادة والأمراء على طول دولة الإسلام بالمشرق. وقد ارتبطت هذه المسألة بتقرير السلام واستخدام هذه الوسيلة لتنفيذها وضمان بقائها أطول فترة بين الطرفين .

أقبل العديد من القادة وحكام الإقاليم على تقديم أبنائهم رهائن لضمان صدق وفائهم سواء لدولة الخلافة أو القوة السياسية المسيطرة على دولة الخلافة هذا ما يخص الدولة العباسية ودويلات المشرق. ويجدر القول إن القوى السياسية الأقل قوة هى دائماً التى كانت تقدم رهينة للقوة الغالبة والمسيطرة عليها.

لم يقتصر نظام أخذ الرهائن على المسلمين فيما بينهم فقط، بل كان سائداً أيضاً بين المسلمين والروم و غيرهم من القوى المجاورة غير إسلامية .

حظيت الرهينة فى الغالب على اهتمام ورعاية كبيرة من قبل الأمير الموجودة عنده ويرجع هذا فى المقام الأول إلى أن أغلب الرهائن كانوا أبناء الأمراء، وربما يكون هناك تبادل للرهائن بمعنى أن كل أمير قدم ابنه للأمير الأخر فيصبح كل منهما يعامل رهينته معاملة حسنة،ويحرص على حياته حتى يضمن أن يحظى ابنه على نفس المعاملة. وقلما

تعرضت الرهينة للتعذيب أو القتل فلم يحدث إلا نادراً . اقتصر أخذ الرهائن أو تبادلها على الشخصيات ذات الاهمية والثقل السياسى كأن يكون ابن الأمير أو أخيه أو عدد من أفراد أسرته . كذلك استخدمت المرأة كرهينة فى بعض الأحيان .ولكنها حالات نادرة وفى أضيق الحدود.

تشير بعض المصادر إلى أن أخذ الرهائن كان نظاماً وبروتكولاً لدى بعض الدويلات الإسلامية فعلى سبيل المثال أشار نظام الملك فى كتابه "سياست نامه" إلى أن أخذ الرهائن من أعداء الدولة ضرورة حرص السلاطين السلاجقة على تطبيقه للحفاظ على ولاء هذه القوى . وأن تبقى الرهائن لمدة عام ثم يتم تبديلها بطائفة أخرى منهم وهكذا على مدار الزمن. وقد ورد بكتب التاريخ أخبار هؤلاء فى صيغة الجمع أو الإفراد وفقاً للعدد فقط. وسوف نتتبع خلال هذه الدراسة سلسلة متواصلة من الأخبار المتعلقة بالرهائن،ووضعهم بالدول الإسلامية. وإلى أى مدى نجحت سياسة أخذ الرهائن فى تحقيق الأهداف المتعلقة بها.

كذلك سوف تتبع الدراسة الأحداث السياسية التى صاحبت أخذ الرهينة،وتتبع حالتها فى ضوء ما ذكرته كتب التاريخ من أخبارهم. تبدأ بعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وتنتهى الدراسة بنهاية الخلافة العباسية .

وقبل الحديث عن الرهائن فى العصر الإسلامى نشير إلى:

- الفرق بين الرهن والخطف عند العرب خلال العصر الجاهلى: فرق العرب قبل الإسلام بين الخطف والرهن. فكان لكل حالة منهما ظروف اختلفت عن الأخرى بشكل جلى إلى الحد الذى جعل هناك فرقاً كبيراً بينهما،سواء فى طريقة وجودها داخل الدولة أو الفرق بين وضعهما السياسى والاجتماعى . ففى حرب الفجار ركب عتبة بن ربيعة فنادى بالصلح بين قبيلتى مضر وهوزان على شرط دفع دية القتلى ويعطونهم رهائن [1] وخلال حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان فلما وقع الصلح بينهما قام على أن تعطى عبس حذيفة الدية للقتلى ووضعوا الرهائن عنده إلى أن يدفعوا له كامل الديات وكان الرهائن أبناء الزعماء الكبار[2]. وقد أعطت عبدالقيس أربعة أشخاص رهينة لبعض القبائل فى

(١) ابن كثير:البداية والنهاية،جـ٢، مكتبة المعارف،بيروت،ص٢٩٠

(٢) ابن الأثير:الكامل فى التاريخ، جـ١، تحقيق عبدالله القاضى، ، طـ٢،دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ ،ص٤٥٧

باقى دين عليهم[1]. وفى يوم خزار قام ملك اليمن بحبس بعض أفراد من وفد القبائل عنده رهينة وقال للباقين أنتونى برؤساء قومكم لأخذ المواثيق منهم وهددهم بقتل أصحابهم ولعل هذا التهديد يبين أن العرب فى ذلك الوقت ربما يهدر دم الرهينة رداً على مخالفة القبائل للمواثيق فيم بينها ولعل هذه أول أشارة إلى إتخاذ الرهائن أداة للضغط من أجل تحقيق مآرب سياسية[2]

الرهائن فى العصر الإسلامى

أولاً :- الرهائن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم : كان أول تعامل للرسول مع الرهائن استخدام الفكرة فى الإيقاع بين قريش وحلفائها من بنى قريظة وعلى الرغم من أنها فكرة قام بها نعيم بن مسعود الذى دخل فى الإسلام حديثاً فى أثناء غزوة الأحزاب وكان من دهاة العرب . فلما أتى للرسول عليه السلام معلناً إسلامه طلب منه الرسول صلى الله عليه وسلم كتمان هذا الأمر والسعى بالخديعة بين أعداء المسلمين للتخفيف من وطأتهم على المسلمين فجاء نعيم بنى قريظة بدعوى النصيحة لهم وأشار عليهم ألا يقاتلوا مع قريش حتى يأخذوا منهم رهائن يضمنوا بهم عدم تخلى قريش عنهم عقب المعركة وتركهم فى مواجهة المسلمين دون مد يد العون لهم كما يفعلون هم فاقتنع بنو قريظة بالرأى. ثم سعى فى نفس الوقت بالقول لقريش أن قريظة خالفوهم وندموا على نقض عهدهم وجددوا تحالفهم مع محمد على أن يقدموا له مائة من قريش وغطفان فيضرب أعناقهم . لذلك سيقومون بطلب رهائن منهم حتى يسلموهم إلى محمد .ونصحهم بعدم دفعهم إليهم. [3] كذلك نقض كعب بن أسد العهد والإيمان بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم فأمر كعب زعيم بنى قريظة حيى بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان تسعين رهينة من أشرافهم حتى لا يتعرضوا للضغط من قبل المسلمين. ولما نازلهم حيى على ذلك نقض أغلبهم العهد ومزقوا الصحيفة التى كان فيها العقد وبقى معه فقط بنو سعنه أسد وأسيد وثعلبة فخرجوا للرسول عليه السلام فلما بلغ الرسول الخبر أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة زعيما الأوس والخزج ومعهما عبدالله بن رواحة

---

(١) القرطبى:الإنباه على قبائل الرواة، تحقيق إبراهيم الأبيارى،ط٥،دار الكتاب العربى، بيروت١٩٨٥ ،ص٩٠

(٢) ابن الأثير:نفس المصدر ،ص ٤٠٧

(٣) مطهر بن طاهر:البدء والتاريخ،جـ ٤، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ص٢١

إليهم ليستطلعوا الأمر فإن صح عرفوه حتى يفاجأهم بالهجوم . وإن كانوا على الوفاء يعلنون للناس ذلك حتى يهدأوا [1]. كذلك شهد عصر الرسول عليه السلام تطاول بعض اليهودعلى حياته ونالوه بالأذى منهم كعب بن الأشرف فكان يحرض المشركين على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه،فقصده مجموعة من الأنصار للقبض عليه والإنتقام منه ولما حاول هذا اليهودى أن يأخذ أبناءهم رهينة أو نساءهم فتذرعوا بجماله وخشيتهم أن تُفتتن نساؤهم به وعرضوا عليه رهن أسلحتهم مع أهميتها لهم [2].

وبعد مرحلة استقرار الأمور السياسية والحربية عقب القضاء على مظاهر الشرك وفتح المسلمين لمكة ومن ثم انتشار الإسلام فى كافة أرجاء شبه الجزيرة وانتهاء فترة الاضطرابات نلاحظ عدم وجود أى أثر للاعتماد على نظام تبادل الرهائن بين المسلمين وبعضهم البعض حيث أن دولة الإسلام على الرغم من شمولها كافة مناطق الجزيرة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن المسلمين جميعاً كانت تربطهم وحدة الدين والخضوع التام من جانب كافة القبائل العربية داخل مدن الحجاز وخارجه لسيادة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أول حدث فى تاريخ هذه المنطقة ينجح فى إيجاد هذه الوحدة بين كل الكيانات القبلية والتى كانت تمثل العلاقة بينها محور الحياة السياسية والقائم فى أغلب الأوقات على سياسة السيطرة للأقوى . لذلك لم يكن هذا الأمر من الأمور السياسة الداخلية للدولة الإسلامية فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم .

نظام الرهائن فى عصر الخلفاء الراشدين: لم يتم خلال عصر الخلفاء الراشدين استخدام أسلوب الرهائن وذلك لاستمرار وحدة الدولة الإسلامية ووحدة رئاستها حيث انتقل حكمها بعد وفاة الرسول إلى الخلفاء الراشدين واحد يلىَ الأخر دون حدوث أى انقسام أو انشقاق فى أراضى الدولة الإسلامية على الرغم من اتساع حدودها خلال ذلك العصر ومع ذلك ظلت كل أراضيها تحت قيادة واحدة فقط مما أدى إلى عدم استخدام هذا النظام . ومع ذلك ظهرت حالة واحدة استخدم بعض الخلفاء هذا النظام فى الأمور الداخلية للدولة بنفس المعنى و المفاهيم السياسية التى تتعلق بها .

فعند سرد وقائع حصار سيدنا عثمان بن عفان وفى إطار خوف محمد بن على

(١) ابن كثير:البداية والنهاية،جـ٤ ،ص١٠٣

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى، جـ٢،دار صادر،بيروت، ص٣٣، ابن كثير: نفس المصدر، ص٥

بن أبى طالب على أبيه عندما استنجد به سيدنا عثمان والعمل على فك هذا الحصار فلما أسرع على بن أبى طالب بالخروج صوب منزل عثمان رضى الله عنه لحق به ابنه محمداً قائلاً له أنهم يريدون أخذه رهينة وإذا كان رأى محمد ابن على ذلك فهو أمر يعدو مجرد رأى لأنه لم يكن أحد من الثوار أن يجرؤفى القدوم على هذا الأمر البتة وإنما يبرهن على استمرار مفهوم الرهينة عند المسلمين فى تلك الحقبة [1].

على الرغم من وجود بعض الإشارات التى تدلل على قيام بعض ممن حضر موقعة الجمل والتى خرجت فيها السيدة عائشة رضى الله عنها مطالبة بالثأر لمقتل سيدنا عثمان فنجد بعض المصادر التى حاولت عند تناولها للحدث إثبات أقوال الفريق الآخر والذى أشار إلى ضرورة أخذ السيدة عائشة رهينة وهو قول من المستبعد أن يكون قد طرح فى ذلك الموقف وإنما ذُكر فى بعض المصادر بهدف إثارة الفتنة حيث لايجرؤ أحد فى ذلك الوقت أو فى أى وقت لاحق من التفكير فى اقتراح هذا الأمر الذى يسئ لشخص النبى صلى الله عليه وسلم قبل الإساءة إلى السيدة عائشة وكيف وهى أم المؤمنين ومن البديهى أن كل هذه الأشياء معلومة للجميع آنذاك ومما يرجح ذلك أن أخاها عبدالرحمن كان لابد وأن يرفض هذا الرأى ولايسمح بعرضه خاصة وأنه يحارب إلى جانب الفريق صاحب الإقتراح [2].

وتأتى أخبار الرهائن أثناء حركة الفتوحات الإسلامية حيث اعتمد المسلمون على أسلوب أخذ الرهائن من أهالى البلاد المفتوحة فى بداية المشاورات بينهم سواء لتسليم البلد أو لعقد الصلح بينهم وبين القوى الأخرى فكان المسلمون يلجأون إلى أخذ الرهائن لضمان عدم غدر أهالى البلاد بهم سواء بحصار أو قتال . فقد طلب أبو عبيدة بن الجراح من أهالى دمشق تسليمهم عدداً من الرهائن حتى يدخل معهم البلد فأتوه بهم[3].ويتضح أن أبا عبيدة هدف من وراء ذلك عدم الخيانة من جانب الروم كما كانت وسيلة لتعويض قلة عدد المسلمين مقارنة بأهالى البلد ، وقد استمر أبو عبيدة فى إتباع هذا الأسلوب مع كل مدينة

(١) البصرى: أخبار المدينة، تحقيق على محمد،دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦، ص٢٥٠

(٢) الطبرى:تاريخ الأمم والملوك،دار الكتب العلمية بيروت،جـ٣، ص٢٠ ، الضبى: الفتنة ووقعة الجمل،جـ١،تحقيق أحمد راتب،ط١،دار النفائس بيروت ، ص١٣٢

(٣) الواقدى:فتوح الشام: جـ١،دار الجيل بيروت،ص ٧٩

قام بفتحها ففى أثناء فتح بعلبك [1] ترك سعيد بن زيد [2] الرجال الذين حاصرهم فى الضيعة رهائن عند أبى عبيدة على المال الذى عندهم لأنه خاف إن تركهم أن يرجعوا إلى المدينة ويغدروا بالمسلمين فلما قام البطريق بحمل المال والطوفة إلى المسلمين أطلقهم أبو عبيدة[3]. واصل أبو عبيدة نهجه هذا الأسلوب فى كافة فتوحاته لبلاد الشام ويتبين أنه كان القائد الوحيد الذى أتبع ذلك على الإطلاق، وهو ما يبرهن على حنكته العسكرية ونجاحه فى فتح العديد من المدن دون حاجة إلى زيادة عدد العساكر.حيث تغلب على هذه المشكلة بتوسعه فى أخذ الرهائن، وهو ما أدى أيضاً إلى استقرار الفتح الإسلامى لها، وعدم حدوث أى نقض لشروط الصلح والفتح التى أبرمها مع الأعداء .ومما يؤكد على أن تبادل الرهائن صار سمة من سمات حركة الفتوحات ببلاد الشام من أن كلا الطرفين المسلمين والروم كانوا شديدى الحرص على أخذ الرهائن من بعضهما البعض بل أننا نلحظ أنه تطور حتى بات أسلوباً من أساليب الضغط حاول معه الروم طرد المسلمين من بلادهم فكان سلاح نافذ معهم ولكن باء الأمر بالفشل فى كثير من الأحيان ولم يستطع الروم تحقيق سياستهم من خلاله.

ومما يبرهن على ماسبق الأحداث المتعلقة بفتح قرقيسيا[4] فنجد إصرار الروم على أخذ االرهائن من المسلمين وليس فحسب بل حرصوا على أخذ أشهر القواد ليضمنوا تنفيذ سياستهم فى إجبار المسلمين على التقهقر وعدم السيطرة على البلد وفى المقابل علم المسلمون بنوايا الروم لذلك حرصوا على عدم تسليم الرهائن من قبلهم إلا بعد أن يأخذوا هم أيضاً عدداً مماثلاً من الروم كرهائن ولعل حركة تبادل الرهائن تلك كانت من المسائل الحربية والسياسية التى دارت حول الرهائن حيث نجد ولأول مرة فى التاريخ الإسلامى تمركز الأحداث على هؤلاء الرهائن.

---

(١) بعلبك:مدينة بالفتح ثم السكون مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام(ياقوت: معجم البلدان، مج١،ط دار صادربيروت ١٩٨٦م، ص٤٥٣)

(٢) سعيد بن زيد:بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى أحد العشرة المشهود لهم بالجنة شهد حصار دمشق وفتحها فولاه عليها أبو عبيدة (الذهبى: سير أعلام النبلاء ،جـ١،تحقيق شعيب الأرناؤوط ،ط٩،مؤسسة الرسالة بيروت١٤١٣هـ. ص١٢٤)

(٣) الواقدى: فتوح الشام: جـ ١،ص ١٤٤

(٤) قرقيسيا: بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق فهى فى مثلث بين الخابور والفرات(ياقوت: معجم البلدان،مج٤،ص٣٢٨).

وقد نجح المسلمون فى اطلاق رهائنهم والتى أخذت منهم عند محاولة فتح المدينة ولما تمكنوا منها قاموا باطلاق رهائن الروم [١] .

ولما فتح المسلمون مصر وتم عقد معاهدة بينهم وبين بلاد النوبة تضمنت أن يكون منهم رهينة بيد المسلمين يقيم بالريف [٢].

وقد تعرض المسلمون لأول مرة لمسألة التعامل مع الرهائن الموجودين بالبلاد المفتوحة ففى عين التمر [٣] وجد خالد بن الوليد . أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل عليهم باب مغلق فلما كسره سأل عن سبب وجودهم ذكروا له أنهم رهن فقسمهم فى أهل البلاء وحظى بعضهم على شهرة واسعة فى الإسلام منهم أبوزياد مولى ثقيف، ونصير أبو موسى بن نصير [٤].

الرهائن فى العصر الأموى: بدأ فى هذا العصر أخذ الرهائن داخل دولة الإسلام وذلك على الرغم من وحدة الكيان السياسى للدولة الإسلامية وهو ما كان سبباً فى عدم وجود أى أثر للرهن داخل الدولة خلال عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين. ولكن مع ظهور بعض القوى السياسية والدينية المعارضة لحكم الأمويين ،برز على الساحة السياسية أمر أخذ الرهائن بين حكام الدولة الأموية والمعارضين لها من المسلمين بسبب نظرة العداء بينهما، والتى سيطرت على طبيعة الأمور والأحداث خاصة السياسية. فقد حرص معاوية على أخذ الرهائن حيث قام بالقبض على عدد من أهل مصر ممن خرج فى حصار وقتل سيدنا عثمان خوفاً من خروجهم عليه[٥] وكان ممن أخذهم رهينة عبدالرحمن ابن عديس البلوى وهو ممن حضر بيعة الرضوان مع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان أحد الفرسان البارزين بمصر ورئيس الخيل التى خرجت إلى

---

(١) الواقدى:فتوح الشام: جـ ٢،ص١١٦

(٢) ابن عبدالحكم:فتوح مصر وأخبارها: تحقيق محمد الحجيرى،ط١،دار الفكر بيروت ١٩٩٦، ص٣٢٠

(٣) عين التمر:بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة فتحت أيام أبى بكر(ياقوت: معجم البلدان،مج٤، ص١٧٦).

(٤) الطبرى: تاريخ الأمم،جـ٢، ص٣٢٤

(٥) الشافعى: تاريخ مدينة دمشق: جـ٢١،٣٥،تحقيق محب الدين العمرى،دار الفكر،بيروت١٩٩٥، ،ص٣٥٨، ١١١

Bernard Lewies:The World ofIslam,London1976,p 85.

المدينة فأخرجه معاوية مع رهائن أهل مصر فجعله فى بعلبك ثم تمكن من الهرب فأدركه أحد رجال معاوية وقام بقتله. ونلاحظ أن الخليفة معاوية قام بخرق حق الرهائن المصريين فى تأمين حياتهم وتوفير الأمان لهم فقام بايداعهم السجن كما قتل أحدهم، ويعد هذا الأمر سابقة لم يقم بها أى من الخلفاء الراشدين مع الرهائن الكفار فما بالنا برهينة مسلم داخل دولة الإسلام. كذلك يُفهم من ترجمة محمد بن يحيى أحد العلماء المشهورين فقيل فى نسبه ما يُفهم منه أن الخليفة معاوية كان قد أخذ معاذ بن مسلم بن رجاء رهينة من أبيه حتى يضمن ولاءه له فلما أرتد أبوه أراد معاوية قتل ابنه الرهينة عنده فاستوهبه القعقاع بن شور الذهلى فوهبه له وأطلقه [1]. كذلك تشير المصادر عند الحديث عن حادثة وصول مسلم بن عقيل إلى الكوفة[2] داعياً للحسين بن على والتوثق من أهلها فلما طالب رجال يزيد هانئ بن عروة بتسليم مسلم رفض الأمر بشدة وعرض عليهم اعطاءهم رهينة تكون بايديهم حتى يأمره بالخروج من داره إلى أى جهة [3] ويعد عرض هانئ بن عروة تقديم رهينة أنها محاولة فردية تبين انها عرفاً سائداً عند العرب اعتادوا عليه.فى مقابل رفضه تسليم من طلب جواره وضيفه . ونرى فى ذات الوقت قيام القبائل فى العصر الأموى بدفع بعض أبنائها رهينة فيما بينها لدرء الحرب بينهم وكانوا يمثلون جزءً من الدية المقررة عليهم فقد أعطى الأحنف إياس بن قتادة رهينة عند الأزد من أجل الديات التى تقررت عليهم فى الفتنة التى كانت بين الأزد وتميم بعد عصر عبيدالله [4].

كذلك أخذ الرهائن داخل الدولة الإسلامية بين قادة الأمويين وفرقة الخوارج [5] فعندما بعث الحجاج عامله عتاب بن ورقاء لملاقاة شبيب فلما قطع مطرف الجسر بدجلة بعث إلى شبيب أن يرسل له عدد من وجوه أصحابه لمناظرتهم فيما يعتقدون ويدعون إليه فقام شبيب بإرسال بعض أصحابه وفى المقابل أخذ منه رهائن إلى أن يعودوا فكانت

---

(1) الذهبى:سير الأعلام،جـ١٢، ص٢٧٨

(2) الكوفة: بالضم ثم تصيرها على عهد عمر بن الخطاب (ياقوت: معجم البلدان،مج٤،ص٤٩١)

(3) الطبرى: تاريخ الأمم،جـ٣، ص٢٨٥

(4) ابن حجر:الإصابة فى تمييز الصحابة:جـ١، دارالجيل بيروت،ص ١٦٦

(5) الخوارج:ظهروا عقب موقعة صفين وهم الذين قالوا بالتحكيم وارغموا علياً علي قبوله ثم رفضوه وقالوا لاحكم إلا لله وساروا إلى قرية حروراء لذلك سموا بالحرورية (اليعقوبى:تاريخ اليعقوبى،جـ٢،دار صادر بيروت، ص١٩٠، ١٩١)

الرهائن هنا ضماناً لحياة أصحابه [1]. كما ظهر نظام الرهن بشكل جلى بين المسلمين وغيرهم من الأمم خاصة الترك حيث بدأت الفتوحات الإسلامية تزداد بشكل كبير خلال تلك الحقبة وقد تم بينهم بعض الإتفاقات ومعاهدات الصلح والتى نص أغلبها على أخذ الرهائن. وكان الغالب فى ذلك الأمر أخذ المسلمون للرهائن مما يدل على انتصارهم على الأتراك وكان تقديم الأتراك الرهائن للمسلمين بهدف الحفاظ على بلادهم وضمانةً للمسلمين من عدم الغدر منهم أو مساعدة أى من ملوك الكفارالمجاورين على حربهم. كذلك نلاحظ كثرة أخذ الرهائن من غير المسلمين على عهد معاوية بن أبى سفيان والخليفة الوليد بن عبدالملك، ويرجع ذلك فى المقام الأول إلى أهمية عصرهما بالنسبة للدولة الأموية والخلافة الإسلامية عامة حيث كان عصر معاوية بداية تأسيس الدولة ومن ثم واصل سياسة الخلفاء الراشدين فى نشر لواء الإسلام وقد بلغت الدولة الأموية أقصى اتساعها على عهد الوليد.

كذلك اضطر المسلمون فى بعض الأحيان إلى تقديم الرهائن للأعداء حال شعورهم بالضعف وحرج موقفهم تجاه قوة عدوهم فقد قدم الخليفة عبدالملك بن مروان للروم عند انشغاله بحرب أعدائه،ومثلما حدث أثناء غزو الترك لخراسان [2]. فلما شعروا بتفوق الترك أسرعوا إلى تقديم عدد من الرهائن لهم حتى يأمنوا شرهم ويكفوا القتال ضدهم . فيشير اليعقوبى إلى مصالحة المهلب لملك الصغد [3] وأخذ منه الرهائن ودفعها إلى حريث بن قحطبة [4] ففى سنة١٠٢هـ/٧٢٠م. نشبت الحرب بين الترك والمسلمين بسبب طمع الترك فى الصغد لضعف سعيد واليها فلما وصلوا إلى قصر الباهلى وقرروا سبى من فى القصر جميعاً بعد أن رفضت أمرأة من باهلة أن يتزوجها أحد الدهاقين . فلما رأى المسلمون ذلك أسرعوا بطلب المدد من عثمان بن عبدالله والى سمرقند[5] ولكنهم خافوا

---

(1) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ،جـ٤،ص١٧٠.

(2) خراسان: بلاد واسعة وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو(ياقوت: معجم البلدان،مج٢،ص٣٥٠)

(3) الصغد:كورة عجيبة قصبتها سمرقند وهما صغدان صغد سمرقند وصغد بخارى (نفس المصدر:مج ٣،ص٤٠٩)

(4) اليعقوبى :تاريخ اليعقوبى، ص٢٧٦

(5) سمرقند:بفتح أوله وثانيه بلد معروف مشهور وهو قصبة الصغد (ياقوت: معجم البلدان ،مج٣،ص٢٤٦)

تأخر وصول المدد فصالحواالترك على أربعين ألفاً وأعطوهم سبعة عشر رجلاً منهم رهينة فى أيديهم فلما بلغهم مسير المسلمون إليهم قتل الترك من كان فى أيديهم من الرهائن [1].

ومن أشهر الأحداث التى شهدها العصر الأموى وكان الرهائن عنصراً أساسياً فيها ولعل إنها الحادثة الوحيدة فى التاريخ الإسلامى كافة التى قام فيها الرهائن بعمل عكس وضعهم السياسى والاجتماعى داخل الدولة التى روهنوا بها والتى تتسم جميعها بالضعف وتبين فى ذات الوقت اختراق البعض للشروط والمعاملات التى يجب الالتزام بها فى معاملة الرهائن. فعندما تولى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان وغزا ما وراء النهر وصالح أهل سمرقند على أن يدخل باباً من أبوابها ويخرج من الآخر وأخذ منهم رهائن حتى يضمن عدم غدرهم به فدخل وخرج لكنه غدر بهم وصحبهم إلى المدينة المنورة، وأخذ يستعملهم فى النخيل والطين وكما هو معلوم أن الرهائن دائماً كانوا من أبناء الحكام والبارزين وكان رهائنه من أبناءالدهاقين

وأرباب النعم فرفضوا العمل وكرهوا عيشهم فوثبوا عليه بقرب حائط فقتلوه ثم قتلوا أنفسهم بالحبل خنقاً [2] . ونستدل من هذه الحادثة استمرارحدوث بعض الخروق فى العرف العام لمعاملة الرهائن أثناء العصر الأموى،وهو الحفاظ على قدرهم وعدم استخدامهم فى أى أمر وأن يوفر لهم سبل العيش والحياة المماثلة التى اعتادوا عليها فى بلادهم .والحالة الثالثة التى كانت بين القادة الأمويين والأعداء من بلاد الفرس والترك فقد سار المهلب إلى الصغد ونزل كش فصالحه ملك الصغد وأخذ المهلب منه الرهائن. وأيضاً ماكان من قتيبة بن مسلم الباهلى ، وملك الجوزجان الذى طلب الأمان بعد هروبه من بلاده. فأمنه على أن يأتيه فيصالحه فطلب رهناً يكونون فى يديه، وأن يعطى هو أيضاً رهائن فأعطاه قتيبة حبيب بن عبدالله بن عمرو بن حصين الباهلى وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته وقدم إلى قتيبة فصالحه ثم رجع فمات فى طريق عودته إلى بلاده فظن أهل الجوزجان أن المسلمين وضعوا له السم فقتلوا حبيباً فقام قتيبة بقتل

---

(1) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٤،٣٤٨، ابن كثير: البداية و النهاية ، جـ٩،ص٢٢٢، الطبرى: تاريخ الأمم،جـ٤، ص٩٢، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، جـ٣، ص ١٠١

(2) مطهر بن طاهر:البدء والتاريخ، جـ٥ ،ص٣،٨١، ابن خياط:تاريخ ابن خياط، تحقيق أكرم العمرى، ط٢،دمشق١٣٩٧ ، ص٢٢٤،

كافة الرهائن عنده [1] . ونلاحظ أن ما قام به قتيبة كان رد فعل طبيعى على ما أقدم عليه الجوزجان من قتل رهينته .

كذلك كان كثير من الترك يقدمون الرهائن للقوى الإسلامية من باب سد الذريعة ولإثبات حسن نواياهم ودليل خضوعهم وتبعيتهم للحكم الإسلامى. فعندما قدم سعيد الحرشى والياً على خراسان كانت الحرب بين المسلمين والترك فقام بحث المسلمين على الجهاد فخاف أهل الصغد على أنفسهم لمساعدتهم الترك أيام خذينة وبلغ بهم الخوف من الحرشى أنهم قرروا ترك بلادهم فأشار عليهم ملكهم بتقديم الخراج له وأعطائه رهائن يكونون فى يديه [2] . ومرة أخرى يتم خرق العرف السائد فى معاملة الرهائن بين المسلمين والترك ومما يجدر قوله أن الغدر دائماً أبداً يبدأ به الأتراك حيث يقومون بقتل رهائن أو أسرى المسلمين الذين تحت أيديهم فيرد المسلمون بالمثل إنتقاماً لقتلاهم وهو فى ذات الشأن لم يكن خرقاً للعهود أو المواثيق من الناحية الشرعية. ففى موقعة كمرجة [3] . قتل المسلمون بازغرى ملكهم ففزعوا من ذلك وأرادوا الإنتقام من المسلمين فجاءوا بكافة الأسرى المسلمين عندهم فقتلوهم ورموا برأس بعضهم. فكان عند المسلمين مائتان من أولاد الكفار رهائن فقتلوهم [4] ولما قرر أهل كمرجة التصالح وأن يقصدوا الدبوسية[5] طلبوا الرهائن من الترك حتى يضمنوا عدم التعرض لهم ضماناً للإتفاق بينهما فأخذوا منهم خمسة فكان المسلمون يسيرون وراء كل منهم رجلاً معه خنجر فى حين كان التركى مجرداً ليس عليه إلا قباء كذلك أخذ الأتراك رهائن من المسلمين.

فلما بلغ المسلمون الدبوسية أرسلوا لمن عنده الرهائن يخبرونه وصولهم ليطمئن الرهائن ويطلبون منه اطلاقهم فصار المسلمون يطلقون رهينة ويطلق الترك رهينة حتى بقى سباع ابن النعمان مع الترك ورجل من الترك مع المسلمين فتردد الطرفان فى تسليم من عنده خوفاً من غدر الآخر فاسرع سباع بحل هذه الأزمة عندما قرر البقاء هو

---

(1) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ،جـ ٤، ص٢٦١ ،الطبرى: تاريخ الأمم ، جـ٤، ص٦.

(2) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ،جـ ٤، ص٣٥٦،

Tilman Nagel: The History of Islam,Amzoon 2000,p86,87

(3) كمرجة: بفتح أوله وثانيه قرية من قرى الصغد(ياقوت:معجم البلدان ، مج٤،ص٤٧٩)

(4) الطبرى: تاريخ الأمم ،جـ٤، ص١٣٤، ابن الأثير: نفس المصدر،جـ٤ ، ص٣٨٨

(5) الدبوسية:بليد من أعمال الصغد من ما وراء النهر(ياقوت:نفس المصدر ، مج٢، ص٤٣٧)

وأن يطلق المسلمون الرهينة التركى أولاً فخلوه وبقى سباع مع الترك فاطلقوه [1] ومما تجدر الإشارة إليه اهتمام الأمويين بالمسائل الفقهية التى تخص الرهائن بداية من عهد معاوية حيث حرصوا على الوقوف على المسائل الفقهية التى تحدد كيفية معاملة الرهينة من الناحية الشرعية ومعاملتهم معاملة حسنة والحفاظ على حياتهم وعدم الغدر بهم كما فعل الروم والترك برهائن المسلمين.

ومما يؤكد ذلك ما أورده ابن بسام فى كتابه الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة فيقول:" السادس فى النوادر إذا قتل البغاة أو الكفار رهائننا لم نقتل رهائنهم ونردهم إليهم وكذلك فعله معاوية وقال عبدالملك نسترقهم ولا نردهم" [2]. والرأى السابق للخلفاء يستدل منه على عدم الغدر بالرهائن حتى من غير المسلمين. وباستثناء هذا العرض للأحداث المتعلقة بالرهائن والتى اقتصرت على الرهائن بين المسلمين وأعدائهم من الأمم الأخرى وعلى رأسهم الروم.لم يشر إلى معاملة الرهينة المسلم عند الأمويين.

الرهائن ووضعهم تحت الحكم العباسى:

أهم ما يميزنظام الرهائن فى تلك الفترة أنه صار نظاماً شائعاً بين القوى السياسية الإسلامية على كثرتها خلال العصر العباسى الثانى، خاصة وأن التنافس كان من أهم سمات العلاقة بين هذه القوى السياسية ومن هنا شاع أسلوب أخذ الرهائن أو تبادلهم لأنه صار الضامن الوحيد الذى ساد بين هذه القوى القائمة والموجودة على الساحة آنذاك ومن المسلمات والبديهى أن تقوم القوة صاحبة السيادة والمهيمنة على مقاليد الأمور وبيدها الحل والعقد فى كافة الأحوال السياسية بأخذ الرهائن من كل الكيانات التى تحيط بها حتى تضمن بقاء ولائها لها دون أن يستدعى ذلك أكثر من وجود عدد قليل من أبناء الحكام أنفسهم لدى بلاط سلاطين الدولة صاحبة القوة السياسية ولابد من الإشارة إلى أن دولة الخلافة كانت بعيداً عن هذا الأمر بشكل تام ومرد ذلك بطبيعة الحال سببه انعدام الأثر السياسى للخلفاء وعدم سيطرتهم على مقاليد الأمور السياسية بالدولة. مما جعلهم بعيداً عن نهج هذا الأسلوب والمرة الوحيدة التى كان فيها للخليفة رهائن جاءت من قبل

---

(1) الطبرى:تاريخ الأمم والملوك،جـ٤،ص١٣٥،ابن الأثير: الكامل فى التاريخ،جـ٤،ص٣٣٨،

(2) ابن بسام: الذخيرة ،تحقيق إحسان عباس ،جـ١٢،بيروت، ص١٠٢

الأمير السلجوقى سليمان شاه [1]. دون طلب الخليفة ذلك ولكنه بادر بإرسال زوجته ضماناً حتى يتمكن الخليفة من مساعدته ويكاد يكون انعدم تبادل الرهائن بين المسلمين والقوى السياسية الغير إسلامية المجاورة باستثناء بعض الحالات بين المسلمين والروم خلال العصر الأيوبى، ويرجع ذلك فى المقام الأول إلى اقتراب الطرفين خاصة بعد نجاح الروم فى اجتياح بعض بلاد الشام ونجاحهم فى إقامة العديد من الإمارات الصليبية داخل بلاد الشام .

أحوال الرهائن فى العصر العباسى الأول:

ظل الاعتماد على أخذ الرهائن محدوداً أثناء العصرالعباسى الأول، فلم ينتشر نظام الرهن فى العصر العباسى الأول سواءفى داخل الدولة أو بين الدولة العباسية وغيرها من الدول المجاورة، ويرجع ذلك إلى استمرار وحدة الدولة الإسلامية حيث تعتبر هذه الفترة إمتداداً لما سبق رصده خلال الحقبة الإسلامية سواء فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين. كما شهد هذا العصر توقف حركة الفتوحات الإسلامية لبلاد الترك واقتصار العلاقة بين العباسيين والدولة البيزنطية على تبادل الأسرى والفداء إلى حد ندرة بل وانعدام تبادل الرهائن بين القوتين آنذاك وبالتالى لم يعد هناك رهائن فلم تكن الدولة والخلفاء فى حاجة إلى الاعتماد على هذا الأسلوب لأنهم انفردوا بتصريف الأمور.

وكانت مقاليد الحكم فى أيديهم وانفراد دولتهم بالسيادة،وعدم وجود أى قوة أخرى داخل العالم الإسلامى تنافسهم خلال تلك الحقبة .ولم يظهر ذلك إلا فى فترة الاضطرابات التى شهدتها الدولة العباسية وكانت مقدمة لما عاشته الدولة العباسية من الضعف والتدهور وبداية سيطرة القوى السياسية الأخرى على مقاليد الأمور. وكانت حالات الرهن فى هذا العصر نادرة فرضتها بعض الظروف الطارئة على الدولة .ونستشف أول إشارة إلى الرهينة ووضعهم عامة مع بداية ظهور الدولة العباسية خلال عصر أبى جعفر المنصور، حيث نستخلص هذا الوضع من خلال استعراض خطط بغداد فيذكر فى تاريخ بغداد:" سكة مهلهل بن صفوان مولى على بن عبدالله صحراء أبى السرى الحكم بن

---

(1) سليمان شاه:السلطان معز الدنيا والدين أبو الحارث سليمان بن محمد بن ملكشاه كانت مدة ملكه ستة أشهر وبضعةأيام(الراوندى: راحة الصدور، ترجمة إبراهيم الشواربى وآخرون،ط المجلس الأعلى للفنون والآداب ، القاهرة ١٩٦٠ ،ص٣٩٢)

يوسف قائد وهو مولى لبنى ضبة الرهينة كانت لقوم أخذوا رهينة أيام المنصور وهى متصلة بربض نوح ابن فرقد" وأن هذا المكان كان محاطاً بسور سمى بسور الرهينة [1] ومع عدم وجود خبر يتناول هؤلاء الرهائن ولكن من خلال الخبر السابق نستنتج منه أن الدولة العباسية منذ ظهورها اهتمت اهتماماً بالغاً بالوضع الاجتماعى لهؤلاء الرهائن حيث خصصت لهم مكاناً مستقلاً يقطنون به. والحادث الثانى الذى يختص بالرهائن خلال العصر العباسى الأول كان فى سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م.عندما توجه الرشيد إلى الرى[2] أرسل حسيناً الخادم إلى طبرستان[3] بثلاثة كتب إلى ملوك الفرس بطبرستان فقبلوا الأمان وتعهدوا بالسمع والطاعة وأداء الخراج وضمن على شروين مثلهم وصرفه ووجه معه هرثمة فأخذ ابنه، وابن شروين رهينة وجاء إليه بالرى [4] وهى تعد أول مرة يأخذ فيها خليفة عباسى رهائن من أعداء المسلمين . ولما قام الخليفة المأمون بغزو بلاد الروم سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م. واستولى المسلمون على عدد كبير من الحصون، فولى المأمون قائده عجيف بن عنبسة على كافة الحصون التى فتحها فتآمر الروم بحصن لؤلؤة[5] على عجيف وأسروه وكاتبوا ملكهم فسار نحوهم ،وفى تلك الأثناء نجح المسلمون الموجودين بالحصون فى هزيمة عسكر قائد الروم . فلما رأى أهل لؤلؤة حرج موقفهم بسبب حصار المسلمين لهم فقاموا باستخدام

الحيلة مع عجيف فقال له رئيسهم إنه سيخلى سبيله بشرط أن يأخذ له الأمان من الخليفة فوافق عجيف وأن يأخذ رهينة فقال عجيف له بتبادل للرهائن بين الطرفين فوافق فاحضر عجيف ابنه رهينة بينما طلب قائد الروم من عامله أن يرسل له فراشين نصرانيين [6] وهنا يتبين لنا أن الروم قاموا بالخداع والحيلة عند تقديمهم للرهينة ويبين

---

(١) الخطيب البغدادى:تاريخ بغداد،جـ١،٦،بيروت،ص٣٣،٨٧

(٢) الرى:مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكة و الخيرات (ياقوت: معجم البلدان،مج٣،ص١١٦)

(٣) طبرستان:بلدان واسعة كثيرة خرج من نواحيها من لايحصى كثرة من أهل العلم والأدب(ياقوت: نفس المصدر،مج٤،ص١٣)

Schaban.M.A:The Abbasid Revolujon of the Social and political, 1960,p57

(٤) الطبرى:تاريخ الأمم والملوك،جـ٤،ص٦٧٤

(٥) حصن لؤلؤة:قلعة قرب طرسوس غزاها المأمون وفتحها(ياقوت:نفس المصدر، مج٥،ص٢٦)

(٦) اليعقوبى :تاريخ اليعقوبى،جـ٢،ص٤٦٧،

DavidThoms:Middle east and Islamic Studies, pp56,57

أيضاً مدى خرق الأصول العامة التى جرى عليها نظام الرهن إلى حد الزج بما هو ليس أهل لذلك و ليس طرفاً فى هذه العملية السياسية، وهو مايدل على أن النظام كان فى بعض الأحيان مغايراً وربما كان دافعاً لأن يأخذ شكلاً للعداء وهو مايتنافى مع مدلولة وهدفه من إنه كان ضامناً للسلام ولحالة الهدوء . كما يمثل وضع الرهينة هنا حادثة خاصة وفردية تمت وفقاً لاتفاق بين قائد مسلم وآخر رومانى ليس لدولة الخلافة شأن بها.وتعد أيضاً المرة الأولى التى يقدم فيها أحد المسلمين رهينة للروم فى ذلك العصر.

وهناك واقعة أخرى للرهائن فى عملية تبادل الأسرى بين المسلمين والروم، حيث قرر قائد المسلمين ترك اثنين من الرهائن لدى الروم، ورفض أخذهما أو فداءهما بل أمر بقتلهما لأنهما أرادا الدخول فى النصرانية [1] . وموقف القائد لايعد خيانة أو غدر للرهائن خاصة، وأنهما مسلمين وكانا جزءً من الدولة العباسية بل وضمن سياستها الخارجية بدليل أنهما كانا من رهائن الدولة، وإنما موقفه منهما يعد من منطلق إسلامى.

فالقاعدة الشرعية فى الإسلام تقضى بحل دم من أرتد عن الإسلام،وهو ما قاما به هذان الرجلان حيث أرادا التحول عن الإسلام إلى النصرانية وبذلك فيحل دمهما.كذلك تشير المصادر إلى استخدام الرهن خلال عهد الخليفة الأمين حيث قام واليه على مصر حاتم بن هرثمة بعد نجاحه فى القضاء على ثورات أهل الحوف، فأخذ منهم ما يقرب من مائة رهينة حتى يضمن عدم نكثهم للعهد وثورتهم مرة أخرى.

كذلك فى أثناء الحرب بين الأمين والمأمون واقتتال الجيشين، قام جماعة من أتباع الأمين بالانقلاب عليه فقام طاهر بن الحسين قائد جيوش المأمون بمراسلتهم، وأخذ منهم الرهائن على بذل الطاعة له وعدم الغدر [2]. ويمكن القول إن خروج هؤلاء من جانب الأمين، وانضمامهم إلى جانب المأمون، كان عاملاً من أهم العوامل التى أدت إلى هزيمة الأمين ونجاح المأمون فى الانفراد بالخلافة.

ولما أعلن المازيار [3] الحرب ضد الخلافة العباسية لجأ إلى أخذ الرهينة غصباً من الناس وحبسهم، وأيضاً ممن أتبعه حتى يضمن بقاءهم معه ضد دولة الخلافة،

---

(1) الطبرى:نفس المصدر، ص١٣٥

(2) ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،جـ٣،ط٥،دار القلم،بيروت١٩٨٤، ص٢٩٩

(3) المازيار:ابن قارن بن وندادهرمز صاحب طبرستان وكان منافراً لعبدالله بن طاهر فلا يحمل له الخراج(ابن خلدون:نفس المصدر، ص٣٣١)

وعدم نكث عهودهم له و الانضمام إلى المسلمين. حيث أشارت المصادر أنه لما خالف وخرج على الخليفة المعتصم، ودعا الناس لاتباعه والانضمام إليه فبايعوه كرهاً وقام بأخذ الرهائن منهم وحبسهم [1]. كذلك قام بأخذ الكثير من الرهائن من أهل البلاد الذين انضموا إلى دعوته، وكان لديه رجل يدعى على بن يزداد وكان قد أعطى ابنه رهينة، ثم لم يلبث أن هرب وخرج من عمل المازيار،فقام المازيار بتبليغ عامله وخليفته على سارية بواقعة هروب على ابن يزداد فجمع عامله عظماء البلدة، وقام بتوبيخهم على هذا الفعل وأن المازيار لم يطمئن إليهم بعد ذلك، أو أن يثق بهم بعد أن نكث أحد المعاهدين الذين حلفوا له، وأعطوا الرهينة ثم نكث وخرج وترك الرهينة، وأنهم لايوفون بيمين وينكثون بالعهد. ولما رأى أهل البلدة هذا الأمر وفى محاولة منهم لدرء التهمة عنهم وإثبات حسن ولائهم للمازيار أشاروا بقتل الرهينة حتى لايحاول أحد الهرب، وعندما استوثق منهم عامل المازيار على قتل رهينته أرسل إلى صاحب الرهائن أن يرسل أبو الحسن بن على بن يزداد وهو رهينة أبيه وفجأة ندم الناس على هذا الأمر،وقاموا بتوبيخ من أشار بهذا الأمر وحاولوا البحث عن حل آخر لعدم قتل الرهينة وفى تلك الأثناء كان قد أتى سرخاستان بالرهينة وأمرهم بأن يقوموا بقتله، كما قرروا فطلب منه الكاتب أن يمهل هذا الحكم عليه لمدة شهرين مهلة لأبيه للعودة إلى الطاعة، وإلا فيقوموا بقتله . فرفض هذا الرأى، ودعا حارسه إلى صلبه فاستأذن الرهينة فى الصلاة وعندما أطال فيها جذبوه من صلاته وقدموه فوق الجذع وشدوا حلقه معه حتى اختنق وتوفى فوقه[2]. وهذا الحدث يظهر بجلاء أن نقض مواثيق الرهن كانت من الأمور الشائعة عند أعداء المسلمين والخارجين عليهم.

سمات نظام الرهائن فى العصر العباسى الثانى: -

انعكس الصراع وحالة الاضطراب التى اصابت الخلافة العباسية خلال عصر الأتراك على وجود تبادل للرهائن بين الأمراء المتصارعين والمتنافسين فتبادلوا الرهائن وكانوا يقوموا بتغييرهم كل فترة ونلاحظ أن الرهائن لم يكونوا من الابناء أو أى من أفراد الأسرة بل كانوا مجرد موظفين أو من كبار القادة، وهو بالطبع يعد نموذجاً جديداً و فريداً

(1) الطبرى:تاريخ الأمم والملوك،جـ٥،ص ٢٤٨

DavidThoms:Middle east and Islamic Studies, p79.

(2) الطبرى:نفس المصدر،٢٥٠،٢٤٩

فى نوعه اختص به أمراء الدولة العباسية ، وربما قاموا بالتبديل ليبق الرهينة فى مكانه.

وكذلك مع بداية سيطرة الأتراك على الأمور فى الخلافة العباسية، لجأ أمراء البيت العباسى إلى استخدام الرهائن من قبل عمالهم حتى يكونوا فى مأمن من مكائدهم، ففى ذى القعدة من سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م. جاء بغداد حماد بن اسحاق بن زيد وذهب بدلاً منه أبو سعيد الأنصارى إلى عسكر أبى أحمد بن المتوكل ، ولكن سرعان ما عاد حماد إلى عسكر أبى أحمد مرة أخرى ورجع أبو سعيد الأنصارى ولم يكن الرهينة مجرد ضيف يحل على من عنده بل استخدمهم العباسيون ليكونوا مندوبين يحملون لهم الرسائل إلى أمرائهم [١].

كذلك يجب الإشارة إلى أن طوال فترة سيطرة الأتراك على الخلافة لم تشهد تبادل للرهائن بين الدولة العباسية وغيرها من القوى خاصة الخارجية لاسيما الروم أو الأتراك. بل أدى ضعف الخلافة إلى اهمالها شأن الرهائن المقيمين عند الروم مما جعل البعض منهم يتخذهم أداة فى تحقيق سياستهم، ففى سنة ٢٤٦هـ /٨٦٠م. قام أهل حصن لؤلؤة بإعلان رغبتهم الدخول فى النصرانية،والانضمام إلى قائد الروم فسلموا له رجلين كانا رهينتين من المسلمين [٢]. يعد ما أقدم عليه أهل الحصن تجاوزاً للنظم الاجتماعية التى توضح حق الرهينة ومعاملته وعدم استخدامه كدية أو لرهن ثانى غير الرهن الذى فيه. ولعل أول خبر عن أخذ الرهائن كان على يد خليفة عباسى فى ذلك العصر جاء أثناء مرحلة أحياء قوة الخلافة فقام الخليفة المعتضد بالله العباسى حيث أعطى بنى شيبان [٣] له الرهائن حتى يعفو عنهم و للصلح معه فرضى بذلك، وأخذ منهم خمسمائة رجل وأعطاهم نساءهم،وعاد إلى بغداد [٤]. وهو ما يدل على أن النساء لم تكن بديلاًعن الرهائن ولم يرض الخليفة أن يكن رهناً عنده. ولعل مما يجب الإشارة إليه أن الأمراء عندما استقطعوا بعض ولايات الدولة العباسية، وتمكنوا من السيطرة عليها، وحتى لايجلبوا عداء الخليفة لهم مما يهدد دولهم قاموا بإرسال الرهينة دليل تبعيتهم لدولة

---

(١) الطبرى:تاريخ الأمم والملوك،جـ٥،ص٣٩٩

(٢) الطبرى: تاريخ الأمم،جـ٥، ص٣٣٢

(٣) بنو شيبان: طال فسادهم للسابلة وعجز الملوك عن طلبهم وكانوا يمتنعون بجبال شهرزور لما بينهم وبين أكرادها من المواصلة (ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،جـ٤،ص٦٠١)

(٤) الطبرى:نفس المصدر،ص٦٠٦،ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ،جـ٦، ص٣٧٤ ،
Noei.J.Coulson:AHistory of Islam Law Edinburge, pp112, 115

الخلافة واعترافهم بسلطة الخليفة، وفى نفس الوقت حتى يضمنوا عدم شن الخليفة عليهم الحرب طالما لديه ما يثبت ولاءهم وهو الرهينة، فعندما اضطر الخليفة المعتضد تقليد الأمير محمد بن أبى الساج على الولايات التى استولى عليها .قام أبو الساج فى يوم الثلاثاء ٧ من شهر المحرم سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م.بإرسال ابنه أبى المسافر إلى بغداد رهينة ليكون ضامناً على طاعة أبيه للخليفة[1].

ومما يجب التأكيد عليه أيضاً أن تبادل الرهائن فى ذلك العصر صار سمة غالبة شملت كافة مظاهر الحياة السياسية للعالم الإسلامى الذى سيطر عليه عدد كبير من القوى، والتى بات لها شأن عظيم فى تسيير أمور العالم الإسلامى حيث سيطر العديد من الأمراء على مقاليد الأمور، وشكلوا قوة كبرى وانفردوا بإقامة العديد من الدول تحت لواء الخلافة العباسية بعيداً عن سلطان الخليفة، وإن كان عمل أغلبها تحت لواء دولة الخلافة وباسمها .

كذلك يجب التأكيد على أن الخلفاء كانوا بعيدين كل البعد عن مسألة أخذ الرهائن فعلى الرغم من انتشار هذا النظام داخل أراضى الخلافة على نطاق لم يشهد له مثيل طوال التاريخ الإسلامى إلا أن الخلفاء لم يكن لهم رهائن ولم يلجأوا إلى هذا النظام ، ويرجع ذلك إلى ضعف نفوذهم وغلبت الأمراء وظهور الكثير من الدويلات المستقلة فى كافة أنحاء الدولة العباسية .

كذلك كان أغلب تبادل الرهائن فى داخل الدولة الإسلامية، بين القوى الإسلامية ذاتها. واقتصر تبادل الرهائن بين المسلمين والقوى المجاورة من غير المسلمين على القوة الصليبية خاصة مع بداية حركة الحروب الصليبية على بلاد الشام. حيث كان أخذ الرهائن السبيل الوحيد لاستقرار الأمور، وحتى لاتنشب الحروب بين القوى الإسلامية خاصة البارزة والمتجاورة منهم.ولقد ظلت مسألة الرهائن خلال تلك الفترة تحكم العلاقة بين المسلمين و الروم .حيث لجأ الطرفان إلى استخدام الرهائن فيم بينهما للخداع حيث قام كل منهما بإرسال من عنده من رهائن الطرف الآخر له بدلاً من إرسال رهائنه. أو كانوا يرسلون أشخاصاً ممن ليس لهم شأن كبير، وربما كان هذا بدافع الانتقام أو خوف كل منهما من إرسال أبناءهم أو ذويهم رهائن فيتعرضوا للقتل عند الحرب.

---

(1) الطبرى: نفس المصدر ،ص٦٢٩

ويعد البريديون [1] من أهم القوى السياسية المحلية التى توسعت فى الاعتماد على نظام الرهن من أجل تحقيق طموحاتهم السياسية وتنفيذ مآربهم فلما قصد أبوالحسين البريدى بغداد وهزم أهلها ونزل بدار مؤنس وعقب انتشار النهب ببغداد قام أبو الحسين بتعيين صاحب شرطة لشرق بغداد وآخر للغرب وأخذ الرهائن من كبار القادة بها وكان أغلبهم من النساء والأطفال[2] وأرسلهم إلى أخيه أبى عبدالله بواسط [3] . ونلاحظ أنها المرة الأولى التى تؤخذ فيها النساء والأطفال رهينة فى الدولة الإسلامية. وقد حدثت بين بعض الكيانات السياسية وعدد من القواد ممن لهم شأن ونفوذ فى حاضرة الدولة فكان من الطبيعى أن يأخذوا رهائن مثل ذلك أولاً لأن النساء هم حرم القائد فإذا ما نكث أو غدر فأى إنتقام منه فى شخص الرهائن يعد عاراً كبيراً لايستطيع معه ان يظل بنفس المكانة البارزة والصيت الذائع لذلك فهى وسيلة نافذة فى ضمان بقاء وفاء الخصم إلى حد بعيد خاصة فى تلك الفترة التى شهدت صراعاً مريراً بين كافة القادة على اختلاف أجناسهم، وبات الصراع بينهم، والانتصار فيه يعنى البقاء للشخصية،بل واعتلائها درجة عالية من المكانة،فى حين أن الهزيمة إذا لم تنتهى بالقتل للشخصية فهى تعنى اختفاء وانتهاء دورها من على الساحة السياسية. كذلك انتشر نظام تبادل الرهائن بين أصغر القادة والموظفين لدى بعض الدويلات، حيث صار الوسيلة الوحيدة التى يضمنوا بها بعضهم البعض .وحتى لايغدر به لدى أميرهم . فعند اتفاق اثنان من رجال ناصر الدولة الحمدانى[4]. للحصول على دعمه قررا التوجه إليه فلما أراد سهلون تقدم عدل فى الذهاب إلى ناصر الدولة طلب منه عدل رهينة حتى لايستأثر بالمال دونه [5]. ولما اشتدت الحرب بين يوسف بن أبى الساج

---

(1) البريديون: هم ثلاثة أخوة أبو عبدالله،وأبو الحسن،وأبويوسف يعقوب وكانوا كتاباً على البريد(ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،جـ٣،ط دار الكتب المصرية،ص٢٦٢)

(2) الهمدانى: تكملة تاريخ الطبرى،جـ١،ط١،المطبعة الكاثوليكية،بيروت ١٩٥٨،ص١٢٧، ابن الأثير:الكامل فى التاريخ،جـ٧،ص١٦١

Muir,Sir William:The Caliphate, Edinburge,1970,p74.

(3) واسط: بناها الحجاج بن يوسف الثقفى وهى بين البصرة و الكوفة (ياقوت: معجم البلدان،مج٥،ص٣٤٧)

(4) ناصر الدولة: الملك ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان بن حمدون صاحب الموصل وهو الذى قتل محمد بن رائق وكانت دولته بضعاً وعشرين سنة وكان يدارى بنى بويه(الذهبى:سير الأعلام،جـ١٦،ص١٨٦).

(5) الهمدانى:تكملة تاريخ الطبرى،جـ١،ص١٣٢

واسحاق بن كنداج [1]. دخل أبو الساج فى طاعة خمارويه بن طولون . وخطب له بأعماله وبعث ولده ديوداد إلى خمارويه رهينة . ولم يلبث أن انقلب أبو الساج على خمارويه واقتتلا قتالاً عظيماً انتهى بهزيمة أبى الساج فقام خمارويه باحضار ابن الساج الرهينة عنده وخلع عليه وأرسله إلى أبيه [2]. وللوهلة الأولى يثير تصرف خمارويه التعجب والدهشة إذ كيف يرسل بابن أبى الساج بعد خروج أبيه وعصيانه عليه.فى حين أننا نجد البعض ينتقم من الرهينة- رغم مخالفة ذلك للعرف- إلى حد قتله.وربما ماقام به خمارويه من تكريم ابن أبى الساج وإعادته إلى أبيه لم يكن بدافع إنسانى بل يرجع إلى رغبة خمارويه فى عدم إثارة الخليفة العباسى ضده ومن ثم قطع أى ذريعة لمحاولة التدخل فى شئون الدولة الطولونية. وتكون دولته بعيداً عن الصراع بين الدولة العباسية وأمرائها وقد تعود سياسة التسامح تلك إلى موقف ابن أبى الساج من رفضه سياسة أبيه بل وإنكاره هذا الأمر فيذكر ابن عساكر أن خمارويه عندما أطلع ابن أبى الساج على خبر أبيه وإعلانه العصيان على خمارويه رد قائلاً:" فسكن خمارويه إلى هذا ثم تواترت الأخبار بتجييشه عليه وما آثره من المسير إليه فدعا ابنه وقال قد نقض أبوك ما بينى وبينه فقال يا سيدى ما أعرف لى أباغيرك فرق له وأجاره وأقر إنزاله وجراياته" [3].

وقد قام والى هراة [4] سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧ م. بمحاربة رجل يكنى بأبى بلال على مذهب القرامطة فلما قاتله واقتاده إلى السجن فظل رهينة فى السجن إلى أن مات [5]. ويُفهم من الخبر أن أبابلال أخذه هرثمة رهينة ليس لاتفاق بل كمتهم لذلك قام بسجنه وبالطبع يجب الإشارة إلى أن بدأ الخلط بين المتهم والرهينة.

---

(1) يوسف بن أبى الساج ولاه المعتضد سنة٢٨٥هـ أعمال أذربيجان وأرمينية وكان قد تغلب عليها وخالف(ابن الأثير: الكامل فى التاريخ،جـ٧،ص ٣٩٤) لسحاق بن كنداج وقيل كنداجيق الخزرى قائد مذكور من أكابر القواد ولى مدينة حلب وقنسرين(كمال الدين: بغية الطلب،جـ٣،تحقيق سهيل زكار،دار الفكر دمشق،ص١٤٩٩)

(2) كمال الدين: نفس المصدر، جـ٧،ص٣٣٨٣،ابن الأثير: نفس المصدر،جـ٦،ص٣٤٨، ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،جـ٣،ص٤١٥،

(3) الشافعى:تاريخ دمشق،جـ٥٢،ص١٠٣

(4) هراة:مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان فيها بساتين كثيرة (ياقوت: معجم البلدان،مج٥،ص٣٩٦)

(5) نظام الملك:سياست نامه، تحقيق يوسف بكار،ط٢،قطر،ص٢٧١

كذلك لم يقتصر نظام الرهائن على الأنظمة السياسية والإمارات والقوى السياسية بل وجدنا العامة يلجأون إليه فى بعض الأحيان بهدف الانتقام لأمير لهم أو من باب الضغط على القوى الحاكمة لتنفيذ مطالبهم ولكن لنا أن نقر إنه لم يكن أسلوباً شائعاً عندهم بل ربما كانت حالة خاصة لجأ إليها لمدة قصيرة وكانت رد فعل للتعبير عن غضبهم دون ترتيب أو أن يكون نهجاً سياسياً وربما تكون هى الحادثة الوحيدة التى تم رصدها خلال التاريخ الإسلامى. ففى سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م.

ثار أهل طرسوس [١] ضد واليهم محمد بن موسى بعد أن شاع بينهم أن خمارويه حبس الأمير المجاهد راغب فغضب الناس وثاروا على أميرهم وسجنوه رهينة مقابل راغب فلما علم خمارويه أمره بالعودة إلى طرسوس فعندما وصل إليها أطلقوا سراح أميرهم محمد فسخط عليهم وكره البقاء معهم [٢].

ويبدو أن استخدام الرهائن كان من الأمور الشائعة بمدن المشرق حيث كانت الأكثر اعتماداً على أخذ الرهائن من بعضهم البعض حيال حدوث بعض الاختلافات فيما بينهم فيذكر أن العصبية القائمة بين أهل تستر[٣] والسوس[٤] بسبب قبر النبى دانيال كما يزعمون فقد قام أهل السوس بتقديم عشرة من المشايخ رهائن إلى أن يردوا القبر إليهم فقام أهل السوس باحتجاز المشايخ عندهم، ويشير أهل تستر أن هذه الحادثة أدت إلى ذهاب مكانة شيوخهم [٥] وبعيداً عما يعنيه الخبر وما يتطرق إليه من الشك والخرافات يؤكد ما يضمنه الخبر من أن استخدام الرهائن لجأت إليه المدن واعتادت عليه مدن الشرق فى حل وتسوية الخلافات والأمور بينهم وهو يدلل على الوعى السياسى عند كثير من إدارة المدن ببلاد الشرق والذى ورثوه من أنظمتهم السياسية وهو ما يؤكد على إقرار هذا النظام فى الإسلام.

كذلك كان حكام الرى. يأخذون الرهائن من أهالى حصن بقصران الداخل [٦].

---

(١) طرسوس:مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب (ياقوت: معجم البلدان،مج٤،ص٢٨)

(٢) ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،جـ٤،ص٣٩٩

(٣) تستر: أعظم مدينة بخوزستان وهى مختطة على شكل فرس(نفس المصدر : مج٢،ص٢٩)

(٤) السوس:بلدة بخوزستان فيها قبر النبى دانيال(نفس المصدر،مج٣، ص٢٨٠)

(٥) المقدسى:أحسن التقاسيم،جـ١،دار صادر،ص٢٨١

(٦) قصران الداخل:ناحية كبيرة بالرى وأكثر فواكة الرى منه(ياقوت: معجم البلدان،مج٤،ص٣٥٣)

لخروجهم على حكام الرى لذلك بدأ كل من يحكم الرى يأخذ الرهائن منهم حتى نهاية القرن الرابع الهجرى[1]. حتى يضمنوا ولاءهم وعدم تمردهم.

والحالة الأخرى التى تم فيها تبادل وأخذ الرهائن بين القادة بالمشرق خاصة شرط إستمرار الموادعة فعندما قام الحسن بن الفيرزان بطلب مساعدة على بن محتاج[2]. ضد أطماع وشمكير[3] فى بلاده .فلما ضيق عليه اضطر وشمكير إلى طلب الموادعة فصالحه أبو على على طاعة السعيد نصر[4]. وأخذ أبو على ابناً لوشمكير يدعى السالار رهينة وتركه عند الفيرزان،فلما قويت شوكة وشمكير أخذ الفيرزان يستميله ويتقرب إليه فرد إليه ابنه وأراد بذلك أن يتقوى به ضد الخراسانيين إن عادوا إليه [5]

وفى سنة ٣٣٧هـ- ٩٤٨م . صالح قائد جيوش وشمكيرالأمير الحسن بن الفيرزان وأخذ ابنه رهينة[6].

وعندما ثار أبوعلى بن محتاج ضد الأمير نوح الساماني [7] انتهى بهم الأمر إلى الصلح فى نفس السنة. فطالبوا أبا على بإرسال ابنه أبو المظفر عبدالله إلى الأمير نوح رهينة فقام بإرساله إلى بخارى [8] فاستقبله الأمير نوح وخلع عليه وجعله يختلط بندمائه وكان ذلك من أسباب انتهاء الفتنة بينهما[9]

---

(1) نفس المصدر :جـ٤،ص٣٥٣

(2) أبو على بن محتاج:أبو على بن أحمد بن محمد بن محتاج صاحب جيش خراسان(ابن مسكويه: تجارب الأمم،جـ١،دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، ص٢٧٦)

(3) وشمكير:أخو مرداويج وكان نائباً عنه فى حكم بلاد الجبال ولما قتل

(4) السعيد نصر:أبو الحسن نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد السامانى ولى الأمر بعد أبيه وهو ابن ثمان سنين وكانت ولايته سنة وثلاثة وثلاثين يوماً ولقب بالسعيد(ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ،ص٤٧٨)

(5) ابن الأثير: نفس المصدر ،جـ٧،ص١٦٧،ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون، جـ٤، ص٤٥٢، David Thomas:Middle East, p98

(6) ابن الأثير:نفس المصدر،ص٢٢٧

(7) نوح السامانى:ابن منصور بن نوح بن ناصر بن أحمد بن اسماعيل مات فى رجب سنة ٣٣٧هـواختل بموته ملك آل ساسان(أبوالفدا: المختصر فى أخبار البشر،مج١،جـ٢،مكتبة المتنبى القاهرة،ص١٣٣)

(8) بخارى:من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها قاعدة ملك السامانية (ياقوت : معجم البلدان،مج١،ص٣٥٣)

(9) ابن الأثير:نفس المصدر،ص٢١٥

وعلى الرغم من أن أبامحتاج كان منتصراً على عسكر نوح.ومع ذلك فقد قام بتقديم ابنه رهينة وهو يدل على أن أبا محتاج كان ينظر للسامانيين على أنهم أصحاب السيادة عليه وهو مجرد عامل تحت نفوذهم.

ولابد من الإقرار هنا إن معاملة الأمير نوح عامل رهينته معاملة انطوت على الصداقة والتودد فهذا لا يدل على كرم الأمير نوح إنما هى المعاملة الطبيعية التى ينبغى الالتزام بها فى معاملة الرهائن.

وقد تعرض بعض الرهائن إلى الخطف من قبل بعض المتنافسين لإثارة أهل الرهينة ضد آخذه ويظهر إنه فرط فيه ومن ثم يقوم بحربه وقتاله انتقاما منه وكان الخطف هنا أيضاً بهدف استرداد الرهينة من وضعه وربما يقوم بهذا الأمر أهله أو أحد آخر له علاقة بأبيه ويهدف من وراء خطفه إعادته لأبيه ومن ثم التقرب إليه .فلما أعطى وشمكير ابنه السلار رهينة لابن سامان فثار الحسن بابن محتاج وأخذ ابن وشمكير الذى عنده وكان وشمكير قد استولى على الرى فراسله ابن الفيرزان يستميله، وحتى يسترضيه أعاد له ابنه السلار فكان سبباً فى تحالفهما [1].

كذلك عمل بنظام الرهائن أيضاً الجماعات الخارجة على الدولة الإسلامية ولجأوا إليه بشكل كبير حيث أنه كان الوسيلة الوحيدة أمامهم لبقاء قوتهم وضمان سلامة جيشهم مقابل القوة الشرعية وهى الأكثر – بطبيعة الحال – فلجأ قادة الزنج[2] إلى الرهائن فى كل معاملاتهم مع أى أمير أو قوة انضمت إليهم أو طلبت مساعدتهم لتحقيق مآربهم ومصالحهم مقابل انضواء هؤلاء فى دعوتهم فعندما طلب محمد بن عبيدالله من محمد بن أبان المساعدة على محاربة الأكراد على أن يعطيه غنائمهم أصر صاحب الزنج عند استئذان على بن أبان منه لتقديم المساعدة إلى محمد بن عبيدالله بضرورة أخذ الرهائن منه حتى يستوثق بهم منه لأنه لايأمن غدره أو الطلب بثأر قتلاه. فكتب محمد يطلب منه اليمين والرهائن فلم يعطيه الرهائن وعندما انتهى الأمر بهزيمة محمد بن عبيدالله اتهمه بتضييع الجيش لعدم حرصه على أخذ الرهائن منه [3].

---

(1) ابن الأثير:الكامل فى التاريخ،جـ٧،ص١٦٧

(2) الزنج:كان خروجهم بالبصرة فى خلافة المهتدى سنة ٢٥٥هـ (المسعودى:مروج الذهب،جـ٤،تحقيق محمد محيى،بيروت،ص ١٩٤)

(3) الطبرى:تاريخ الأمم والملوك، جـ٥،ص٥٢٦، ٥٢٧

فكان يرى أن الرهائن تضمن عدم ترك محمد لجيش الزنج أن يُقتل على يد الأكراد لأنه سيخاف على سلامة رهائنه فكان سيدافع عن الجيش بكل قوة وهو مالم يحدث لأنه لم يخسر شيئاً.

ولما نشب النزاع سنة ٤٠٢هـ- ١٠١١م. بين أبى نصر ابن لؤلؤ صاحب حلب وصالح بن مرداس[١] بعد قطع ابن لؤلؤ الدعوة للخليفة الفاطمى فطمع فيه ابن مرداس وطالبه بالصلات والخلع ثم تمكن منه وسجنه فبذل ابن لؤلؤ الأموال على أن يطلقه ابن مرداس مقابل أخذ رهائن منه ففعل، إلا أن أمه أشارت عليه باطلاقهم حتى يعلو نجم ابنها بهذا العمل وذكرت لإبنها أن بقاءهم عنده لم يمنع ابن لؤلؤ إن أراد الغدر به[٢] .

كذلك عمد بعض السلاطين إلى إبقاء العلماء فى بلاطهم فى حكم الرهينة. حيث صمم السلطان عامربن عبدالوهاب الطاهرى على نزول العلامة الحافظ الهادى بن حسام الدين ومجموعة من العلماء والسادات معه إلى تعز[٣].

ومما يجدر قوله إن الرهن صار نعتاً لبعض الأسماء من الأسرات الحاكمة. ليدلل على أن أحد آبائه أو أجداده كان رهينة سياسية فى وقت ما. فيذكر صاحب كتاب الضوء اللامع فى ترجمة أحد شخصياته قائلاً:"خالد بن أحمد الرهينة صاحب الجب"[٤].

وكان الرهائن الوسيلة الفعالة فى ضمان تنفيذ شروط الصلح و الاتفاقات بين الأمراء، فقد قدم صاحب إربل أهله وأولاده وهى المرة الأولى التى يزيد فيها عدد الرهائن لحالة واحدة عن شخص، وقد يفسر هذا مدى انتشار الأمر ورضى الناس به وعدم تخوفهم على مصير رهائنهم ،وهو ما يثبت أيضاً استقرار الأوضاع وأن الرهائن باتوا زيادة فى الحيطة أكثر منه تنفيذاً وضماناً للإتفاقات،وقد رد عليه الأمراء رهائنه لثقتهم به [٥]. كذلك تفشى استخدام نظام الرهن السياسى بين الكثير من أمراء الأكراد، أثناء نزاعهم على امتلاك القلاع فقاموا بتبادل

---

(١) صالح بن مرداس: أسد الدولة أبو على كان من عرب البادية استولى على حلب وكان ذا بأس وعزيمة(ابن خلكان وفيات الأعيان،جـ٢،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة بيروت،ص٤٨٧)

(٢) ابن الأثير :الكامل فى التاريخ،جـ٨،ص٦٧

(٣) تعز:قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات(ياقوت:معجم البلدان، مـج٢، ص٣٤) ،الشوكانى:البدر الطالع:جـ٢،بيروت،ص٢٢٣

(٤) السخاوى:الضوء اللامع: جـ٣،بيروت،ص١٧٠

(٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ،جـ١٠،ص٢٨٥

الرهائن فيما بينهم من أجل ضمان الوفاء بالشروط والإتفاقات، وكانوا يظهرون الطاعة في بعض الأحيان خوفاً على رهائنهم حتى لاينكل بهم ويكونوا ثمناً لذلك العصيان [١] .

وقد ظل صغار الأمراء والخارجين على الدويلات والأمراء خاصة ببلاد الشام، يلجأون إلى أخذ الرهائن من أجل الحفاظ على ما حققوه من مكاسب سياسية أو للحفاظ على حياتهم، وحتى لايغدر بهم فعندما أعلن محكان أحد أهالى الرحبة [٢] العصيان ونجح فى تملكها ثم قام بمراسلة أهل عانة[٣]. فلما أطاعوه إتخذها قاعدة له وأنزل بها أهله وماله وأخذ رهائنهم لضمان سلامته وأهله. ثم خرجوا عن طاعته فأخذوا أمواله واستردوا رهائنهم منه وأعادوا إليه ابناءه [٤]. ونلاحظ أن الطرفين التزما بتطبيق الأعراف المعتادة فى التعامل مع الرهائن. فقد قام هو بأخذ الرهائن منهم لأنه ترك أولاده عندهم ولما أرادوا نقض العلاقة بينهما سلموا له أبناءه فى حين رد عليهم رهائنهم كذلك استمر اعتماد أمراء الشام على أخذ الرهائن فى تحالفاتهم السياسية . ففى المحرم من سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م. .وعندما استولى بلك بن بهرام بن أرتق وهو ابن أخى الأمير أيلغازى على مدينة عانة من بنى يعيش بن عيسى بن خلاط طلبوا من سيف الدولة صدقة بن مزيد [٥]. قصدها ليسلموها إليه فلما وصلها غادرها التركمان وبهرام وأخذ صدقة رهائنهم لاستمرار العلاقة بينهما [٦]. ولجأ أمراء المدن إلى أخذ الرهائن دون إبداء الأسباب أو الظروف التى أخذوا فيها منها على سبيل المثال أخذ الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش[٧]. رهائن من أهل الرحبة وسيرهم إلى الموصل[٨].

---

(١) نفسه: ،ص٣٩٠،ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،جـ٥،ص٣١٨

(٢) الرحبة: قرية من قرى دمشق(ياقوت:معجم البلدان،جـ٣،ص٣٣)

(٣) عانة:مدينة صغيرة فى وسط الفرات(ابن حوقل:صورة الأرض، ط٢، ليدن١٩٣٨، ص٢٢٨)

(٤) ابن الأثير:نفس المصدر،جـ٨،ص٨٣

(٥) صدقة بن مزيد: أبو الحسن صدقة الملقب سيف الدولة فخر الدين صاحب الحلة السيفية كان يقال له ملك العرب نائب السلطان محمد بن ملكشاه واقتتالا وقتل فى المعركة(ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص٤٩٠)

(٦) ابن الأثير:نفس المصدر،جـ٩،ص٧٠

(٧) شرف الدولة مسلم بن قريش:ولى بعد أبيه وعظم سلطانه واستولى على الجزيرة وحلب وحاصر دمشق وكاد أن يأخذها وأخذ الأتاوة من بلاد. الروم(الذهبى: سير الأعلام،جـ١٧،ص٦٣٤)
Muir: The Calphate, p96

(٨) كمال الدين :بغية الطلب :جـ٩،ص٤٢٣٨

الرهائن بين القوى الإسلامية ببلاد الشام وبين الصليبيين فى تلك الفترة:

لقد اضطربت الظروف السياسية لبلاد الشام بعد تعرضها لاجتياح الصليبيين ونجاحهم فى تكوين إمارات لهم جاورت العديد من المدن الإسلامية، مما اضطرأمراء المسلمين إلى التعامل مع هؤلاء الصليبيين فى حالة الحرب أو السلم بينهما، فكان نظام تبادل الرهائن بينهما من أهم الأنظمة وأشهر الأساليب التى تعاملوا بها .

ولقد بالغ عدد من الأمراء آنذاك فى تحقيق نظام الرهن حتى وإن اضطر معه إلى استعمال أساليب تبدو غريبة فى تنفيذ هذا الأمر وتضاربها مع أهدافه ففى سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م. عقد سيف الدولة فداء مع الروم قام فيه بشراء أسرى المسلمين بكل ما معه من مال وعندما لم يكف المال للشراء رهن عليهم أباالحسن كاتبه وهى من غرائب ما اختص بنظام الرهن إذ كيف يرهن رجل مسلم عند الأعداء من أجل فك أسر آخر حيث صار الكاتب فى نفس الوضع الذى كان عليه الأسرى[1]. وفى سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م.قام أهل حلب بتقديم الرهائن للصليبيين لدرء الخطر عن مدينتهم وحتى لا يستولوا على البلد .ومما يجدر قوله إن مسألة الرهائن فى ذلك الوقت، صارت دربأ لاختراق العديد من الثوابت حيث كانت دافعاً لقيام الكثير من الأمراء بتحقيق مآربهم الشخصية إلى الحد إنها صارت مسألة فردية بين أمراء مدن وولايات بلاد الشام، وبين القوى الصليبية بعيداً عن الخلافة العباسية. فعندما طلب الخليفة الفاطمى المستنصر من محمود بن الروقلية المسيطر على حلب أن يبعث إليه المال ويقوم بغزو الروم وأن يعلن حربه على السلاجقة إن كان على طاعته فتذرع له بأنه ملتزم بدفع أموالاً لعمه نظير أخذه حلب وأنه عقد معاهدة مع الروم لفترة محددة وأنه أعطى ابنه رهينة لهم مقابل مال اقترضه منهم لذلك فهو لايستطيع محاربتهم [2].

كما قام نورالدين محمود[3] بعقد هدنة مع صاحب طرابلس[4] عقب انتصاره عليه

---

(1) كمال الدين: بغية الطلب :جـ٦،ص٢٧٠٦

(2) ابن الأثير:الكامل فى التاريخ،جـ٧،ص٣١٨

(3) نورالدين محمود:أبوالقاسم محمود بن عماد الدين زنكى بن آق سنقر الملقب الملك العادل (ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ٥،ص١٨٤)

(4) طرابلس:مدينة طرابلس سور صخر جليل البنيان وهى على شاطئ البحر ومبنى جامعها أحسن مبنى(ياقوت: معجم البلدان،مج٤،ص٢٥)

وأسره، فافتدى نفسه منه وعاهده على عدم غزو أراضى المسلمين لمدة سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام، وأخذ منه مائة شخص كرهائن من أولاده وأولاد كبار القادة الصليبيين وبطارقتهم، وشرط عليه إن نكث وغدر سيقتلهم[1]

وهنا يتضح لنا أن ما شرطه نور الدين من إراقة دم هؤلاء الرهائن فى حالة عدم وفاء الجانب الصليبي لايعد خروجاً على نظام الرهن وتجاوزه بل هى معاهدة من عدة شروط وافق عليها كلا الطرفين، وهو قد هدده بذلك لضمان سريان هذا الصلح.

وهو يعد الأمير المسلم فى ذلك الوقت الذى تحت يديه رهائن من الصليبيين مما يدل على نجاحه فى هزيمتهم، وخشيتهم من قوته وحرصهم على استمرار الهدنة معه.

ومما تجدر الإشارة إليه عند تتبع نظام الرهن خلال العصر العباسى أنه على الرغم من عدم وجود أدلة أونصوص تشير بشكل واضح إلى الوضع الاجتماعى والاقتصادى للرهائن أثناء فترة تواجدهم فى الرهن إلا أننا يمكننا استنباط الكثير من الأوضاع التى كان عليها أغلب الرهائن مع الوضع فى الاعتبار أن هذا الأمر لم يكن نابعاً من قوانين إنما هى حالات جلب أكثرالأمراء الذين تحت أيديهم رهائن على التعامل بها ولكنها لم تأخذ فى أى فترة من فترات التاريخ الإسلامى صفة القانون أو الإلزام حيث وجد إلى جانب هذه المعاملة الحسنة تعرض بعض الحالات إلى سوء المعاملة، وربما الاضطهاد الذى وصل ذروته فى إراقة دم الرهينة. ولكن من الأمور التى لاتدع مجالاً للشك أن الرهائن فى بغداد كان لهم مكاناً خاصاً بهم على عهد أبى جعفر المنصور، كما نستشف بما لايدع مجالاً للشك أنه كانت هناك مقابر لهم فى بغداد أيضاً كان يدفن فيها من مات منهم فى حال موافقة مرهونة على ذلك.

كذلك تجدر الإشارة إلى عامل مهم جداً ألا وهو عدم تأثر نظام الرهن السياسى فى الدولة الإسلامية بمسألة الخلاف المذهبى منذ عصر الخلافة العباسية على وجه الخصوص فلم يتم رصد أى حالة من حالات الرهن كانت بسبب الخلاف المذهبى .

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية،جـ١٢ ، ص٢٢٧

موقف البويهيين من الرهن السياسى: حرص أمراء بنى بويه[1] منذ ظهورهم على الساحة السياسية على أخذ الرهائن حيث اعتبروها الضمانة الوحيدة على عدم الغدر بقوتهم العسكرية على وجه الخصوص. خاصة فى بداية خروجهم إلى بلاد العراق .

وقام البويهيون فى أول أمرهم بتقديم الأمير ركن الدولة. كرهينة من الأسرة نفسها للحصول على ما تريده من استقلال سياسى. وهو يعد أشهر رهينة سياسية فى التاريخ العباسى وربما هو الرهينة الوحيد الذى صار له ملك وشأن بين رهائن العصر العباسى الثانى على وجه العموم. وأيضاً الرهينة الوحيد الذى قدمه آل بويه حيث صاروا بعد ذلك أصحاب الكلمة الأولى وسيطروا على مقاليد الأمور فى الخلافة العباسية ودان لهم المشرق الإسلامى وأصبحت الرهائن ترسل لهم وتُأخذ باسمهم حيث لايجانبنا الصواب إذا قلنا إن البويهيين هم القوى السياسية الأولى فى أخذ أكبرعدد من الرهائن حيث كانوا القوى الأولى على الساحة آنذاك.ودانت لهم كافة القوى السياسية المعاصرة لهم، والتى قدمت رهائنها حفاظاً على مصالحها معهم.وشكل من أشكال الخضوع والتبعية والاعتراف بنفوذهم .

فقد كان ركن الدولة رهينة عند مراديج الزيارى[2] فلما قتل مراديج أعطى ركن الدولة للموكلين مالاً فأطلقوه، فخرج إلى الصحراء حتى فك قيوده، حيث جاءته جماعة من أصحابه وغلمانه على بغال محملة بالتبن، فرموا التبن.وقاموا بكسر قيده وركبوا قاصدين عماد الدولة. فذهب إلى أخيه عماد الدولة واصطحب معه جماعة من الأتراك [3].

ولما استنجد أبو عبدالله البريدى بالقوة البويهية الوليدة من أجل محاربة منافسيه فى دار الخلافة وحماية أملاكه ، اشترط عماد الدولة عليه إعطاء رهينة فخلف أبو عبدالله

---

(1) بنو بويه:ينسبون إلى بويه وهو رجل متوسط الحال من الديلم وكان لبويه ثلاثة أولاد هم عمادالدولة وركن الدولة ومعزالدولة وكانوا فى خدمة ماكان بن كاكى الديلمى(أبوالفداء: المختصر فى أخبار البشر،مج١،جـ٢،ص٧٨)

(2) مرداويج الزيارى: أحد قواد أسفار بن شيرويه ثم خرج عليه وهزمه، وتغلب على الرى وأصبهان وأساء السيرة بأصبهان خاصة وتبسط فى أخذ الأموال وانتهاك الحرم وطغى(ابن مسكويه: تجارب الأمم، جـ١، ص١٦٢، ١٦٣)

(3) ابن الأثير:الكامل فى التاريخ،جـ٧،ص١١١،١٠٠

Amedrez: Three Years of Buwaihid, 1908,pp94-98

البريدى ابنيه أبا الحسن محمد وأبا جعفر الفياض[1]. ولجأ عماد الدولة إلى هذا لتخوفه من نقض أبى عبدالله وضماناً لعدم هلاك جند أخيه معزالدولة، وهو أمر طبيعى لأنها المرة الأولى التى تطأ فيها جيوش البويهيين أرض العراق وهى بطبيعة الحال بعيدة عن مركز دولتهم ومعقل الخلافة وجيوشها.

ولما سيطر معزالدولة على الأمور ببغداد أصبح أكثر أمراء بنى بويه أخذاً للرهائن وهذا لكثرة القوى السياسية المنافسة و المجاورة له. فعندما استنجد به ناصر الدولة الحمدانى أرسل إليه وزيره الصيمرى[2]. الذى لن يلبث أن أخذ من ناصر الدولة ابنه هبة الله بن ناصر الدولة رهينة لمعز الدولة . وقد أحسن معزالدولة إليه بل قام بإعادته لأبيه بعد بضعة أشهر بعد أن أكرم

وفادته وخلع عليه[3] ومما يجب الإشارة إليه أن مسألة الرهائن غلبت على العلاقة بين البويهيين – القوة المسيطرة على أمور الخلافة العباسية – وبين الحمدانيين حيث قام الحمدانيون بتقديم الرهائن دائماً إلى سلاطين الدولة البويهية مما يدل على أنهم كانوا أصحاب السيادة على الحمدانيين وعلى أن قوتهم كانت أكبر من قوة الحمدانيين بل وكانوا يخضعون لنفوذهم.

كذلك عندما تأزمت الأمور بين الطرفين سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م.لتأخر ناصرالدولة فى إرسال المال الذى تصالحا عليه وخرج معزالدولة لحربه ثم اتفقا على الصلح مرة ثانية على أن يخطب ناصر الدولة لعماد الدولة ومعز الدولة ولابنه بختيار وأن يرسل ابنه رهينة [4].

كذلك رأى الأمير عضدالدولة [5] فى أخذ الرهائن واحدة من أهم الضمانات لبقاء

---

(1) ابن مسكويه:تجارب الأمم،جـ١،ص ٣٥٦

(2) الصيمرى: أبو جعفر الصيمرى وزير معزالدولة أسند إليه حرب عمران ابن شاهين بالبطائح وتوفى بالجامدة أثناء حصاره لها(ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ،جـ٦،ص٣٣٤:٣٣١)

(3) الهمدانى:تكملة تاريخ الطبرى،جـ١،ص١٦٠

(4) الهمدانى:تكملة تاريخ الطبرى،جـ١،ص١٦١

Amedrez: Three Years of Buwaihid,p102

(5) عضد الدولة:ابن ركن الدولة ورث ملك عمه عماد الدولة بفارس وهوأول من خوطب فى الإسلام بالملك شاهنشاه وأمر الخليفة الطائع أن يخطب له على منابر بغداد وأذن له فى ضرب الطبل على بابه أوقات الصلاة(ابن الجوزى: المنتظم، جـ٧،ط١،حيدر آباد١٣٥٩،ص١٧٩)

طاعة الأمم والشعوب التى تحت يديه فعند حديث المقدسى عن جماعة البلوص والقفص أشار إلى أن البلوص أشر من القفص وقد قام عضدالدولة بإبادتهم والتنكيل بهم وأنه أخذ منهم رهائن وظلت عادة متبعة عند حكام فارس أن يوجد فى بلاطهم مجموعة منهم رهائن يتم تغيرها بمجموعة أخرى[1] وبذلك سكنت فتنتهم وضمنت الدولة ولاءهم، وعدم تعرضهم للقوافل أو إثارة القلاقل التى يقوموا بها بمناطق الدولة.

كذلك فى عهد بهاء الدولة[2] قدم بعض أمراء النواحى أبناءهم رهينة لبقاء ولائهم له وعدم الخروج عليه فعندما أرسل لشكرستان يطلب الصلح والعودة إلى الطاعة والخطبة له بالبصرة فأجابه إلى ذلك وأخذ ابنه رهينة[3] .

ولما أراد أبوكاليجار[4] التوثق من الأتراك طلب منهم الرهائن لكنهم رفضوا وعاودا مراسلة جلال الدولة[5] وعندما رأى الأمير عمران بن شاهين اضطراب أمر الأمير بختيار. رفض إرسال الرهائن إليه [6].

كذلك قام أمير كرمان[7]. عند خروجه فى أعقاب حالة الفوضى والعبث التى شهدتها مدينة نيسابور[8]. فطالبه أهلها بالحرب معهم فنجح فى القضاء على الفتن، وقتل الكثير من

---

(1) ياقوت:معجم البلدان،جـ٤،ص٣٨١

(2) بهاء الدولة:تولى بعد وفاة أخيه شرف الدولة العراق فخلع عليه الخليفة الطائع الخلع السلطانية ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة وقرئ عهده بين يديه بالتقليد(ابن العميد: تاريخ المسلمين،ليدن ١٦٢٥،ص٢٤١)

(3) ابن الأثير:الكامل فى التاريخ ،جـ٦،ص٤٨٣

(4) أبو كاليجار: ابن سلطان الدولة نجح فى دخول بغداد بعد أن استمال كبار القواد بالأموال وقد اعترف سائر أمراء العراق بنفوذه(حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسى، جـ٣ ،ط١٢، القاهرة ١٩٨٧،ص٦١)

(5) جلال الدولة:خطب له ببغداد بعد وفاة أخيه مشرف الدولة فلم يقدمها وانتهى إلى واسط فأقام بها يخطب لأبى كاليجار ابن أخيه سلطان الدولة ثم أسرع بالانتقال من واسط إلى بغداد إلا أن الجند ردوه مما أدى إلى حدوث الفوضى ببغداد اضطر معها الجند الطلب من الخليفة دعوة جلال الدولة إلى بغداد ليملكها ولتجتمع الكلمة ويسكن الهرج(ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون، جـ٤، ص٦٣٣،٦٣٢)

(6) ابن الأثير:الكامل فى التاريخ،جـ٦،ص٣٢٣،٣٢٢

(7) كرمان: فى الإقليم الرابع وهى ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة(ياقوت:معجم البلدان،مج ٤،ص٤٥٤)

(8) نيسابور:مدينة عظيمة ذا ت فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء(نفس المصدر:مج٥،ص ٣٣١)

أهالى المدن التى غارت على نيسابور ثم أتى بزعماء قراطوس وأخذ أولادهم وإخوانهم فضلاً عن عدد آخر من أهلهم رهائن وأدخلهم السجون وشرط عليهم إن اعترضوا أحد من أهل نيسابور أو قطعوا طريقاً فأن رهائنهم سيحاسبوا على هذه الجرائم وينتقم منهم[1].

وهكذا استعمل أمير كرمان الرهائن من أجل إقرار الأمن وفرض الاستقرار،وكانت عاملاً مهماً فى إعادة الهدوء وتعكس أيضاً أن ما قاله أمير كرمان لم يكن من باب التهديد فحسب بل يعد معاهدة ذات شروط واضحة بين الطرفين وعلى من ينقضها تحمل تبعات ما يترتب على ذلك من نتائج.

تطور نظام الرهائن على عهد السلاجقة:- كذلك سارالسلاجقة[2] على نفس النهج فى الاعتماد على أسلوب أخذ الرهائن خاصة من القوى السياسية بالعراق حتى يكونوا فى مأمن من غدر هذه القوى وتحالفهم مع أعدائهم. وعدوه وسيلة ناجعة فى مسألة ولاء أمراء الأطراف خاصة الأكراد.

فكان أول رهينة للسلطان طغرلبك. ابن سعدى بن أبى الشوك نظير تبعية أبيه له وعدم عودته و تحوله إلى تأييد البويهيين، كذلك استخدمه طغرلبك من أجل تحقيق مكاسب سياسية له. وقام طغرلبك بإعطائه لابن عمه عندما جاءه يشتكى من عمه سعدى وأسره أبيه وطلب منه مساعدته على إطلاق سراح أبيه فلم يجد طغرلبك ما يهدد به سعدى إلا ابنه ليساومه عليه فأرسله مع ابن عمه ليكون أداة ضغط على أبيه ليطلق أخيه وأرسل معه خطاباً هدده فيه وشرط عليه ترك مهلهل وإلا يقتله بدر انتقاماً لأبيه مما أغضب سعدى فاضطر إلى تركه واسترداد ابنه وأعلن عصيانه للسلطان طغرلبك.

استمر طغرلبك فى أخذ الرهائن من أمراء النواحى للضغط عليهم من أجل تحقيق استقرارأطراف دولته وبسط نفوذه عليهم فعندما قصد تبريز[3]. أطاعه صاحبها الأمير أبو

---

(1) ابن الأثير:الكامل فى التاريخ،جـ٨،ص٢١١

(2) السلاجقة: قبائل تركمانية تعرف بالغز نزحوا من مواطنهم الأصلية من أواسط آسيا وجاوروا بلاد الإسلام فاعتنقوه وكان السلاجقة من الموالين للدولة الغزنوية والتى تمكنوا فى ظلها من التوغل فى مدن بلاد خراسان بعد أن سمح لهم السلطان محمود بن سبكتكين بالاستقرار بعد عبورهم نهر جيحون(الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، تحقيق محمد إقبال، دارالآفاق ،بيروت،ص٣،٤)

(3) تبريز: أشهر مدن أذربيجان وهى مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة (ياقوت:معجم البلدان،مج٢،ص١٣)

منصور بن وهسوذان وخطب له ولم يكتف طغرلبك بذلك بل أخذ ولده رهينة عنده[1].

وصارت القوى العربية الموجودة بالعراق تخشى من السلاجقة، وتهاب السلاطين لذلك طلبوا ودهم وتقربوا إليهم وتسابقوا فى تقديم ابنائهم رهينة عندهم ربما بدون طلب من السلاجقة أنفسهم.

كذلك عندما أقر الأمير دقاق[2]. محمد بن السباق أميراً على الرحبة . أخذ ابنه رهينة وحمله معه إلى دمشق، فلما توفى دقاق أسرع محمد بن السباق بإرسال جماعة قاموا بسرقة ابنه وإعادته إليه،حيث خلع طاعتهم[3].والخبر يؤكد على أن الرهينة فى ذلك الوقت كانت الضمانة الوحيدة لبقائهم تحت سيطرتهم والاعتراف بالسيادة عليهم . فنجد أن ابن السباق تخلص من سيطرة دقاق فور نجاحه من استرداد ابنه .كذلك لم يقتصر أخذ الرهائن فى الدولة السلجوقية على الشئون السياسية أو من أجل الحفاظ على الهدنة بين القوى السياسية بل امتد ليشمل كافة الأمور التى من شأنها تهم المسلمين وحياتهم . فلما قام السلطان ألب أرسلان[4] بضبط الطريق إلى الحج وتنظيم موسم الحج سنة

٤٥٦هـ / ١٠٦٣م. وحتى يضمن سلامة الحجاج أخذ ألب أرسلان الرهائن من العرب حتى لايقوموا بأى من عمليات السلب والنهب التى كانوا يقومون بها على نطاق واسع [5]. ومما يؤكد على أهمية نظام الرهائن فى الدولة الإسلامية بالمشرق وأنه صار أحد أعمدة النظام الإدارى خاصة فى دولة السلاجقة صاحبة السيادة السياسية على العالم الإسلامى آنذاك.

إذ نجد الوزير نظام الملك[6] أشهر وزراء العالم الإسلامى يشير فى كتابه القيم

---

(1) ابن الأثير:الكامل فى التاريخ،جـ٨،ص٣١٦

(2) دقاق: ابن تتش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل استقل بمملكة دمشق بعد وفاة أبيه (ابن خلكان : وفيات الأعيان،جـ١،ص٢٩٦)

(3) ابن الأثير:نفس المصدر،جـ٩،ص١٠٦

(4) ألب أرسلان: أبو شجاع محمد بن جغرى ابن أخى السلطان طغرلبك استولى على الممالك وعظمت مملكته ورهبت سلطته(ابن خلكان: وفيات الأعيان ،جـ٥،ص١٦٩)

(5) المكى:سمط العوالى،جـ٤،تحقيق عادل أحمد،دار الكتب العلمية،بيروت، ص٢١٤، ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،جـ٤،ص١٣٢

(6) نظام الملك: الوزير أبو الحسن بن على بن إسحاق بن العباس الملقب نظام الملك قوام الدين الطوسى كان من أولاد الدهاقين اشتغل بالحديث والفقه(ابن خلكان: نفس المصدر ،جـ٢،ص١٢٨)

سياست نامه والذى ألفه للسلطان السلجوقى فى ترتيب أمور الحكم وأدوات السياسة نجده يُفرد باباً فى الكتاب يستعرض فيه أحوال الرهائن ووضعهم ويعدها نظام الملك مظهراً من مظاهر الطاعة للدولة وبلغة السياسة الحديثة (بروتكولاً) فى العلاقة بين الكيانات السياسية سواء الإسلامية أو غيرها.وجعله فى المرتبة أو الفصل الخامس والعشرين قائلاً:" فى الرهائن وايداعهم فى البلاط على كل واحد من أمراء العرب والأكراد والديالمة والروم وغيرهم من حديثى العهد بالدخول فى طاعة السلطان أن يودع إبناً أو أخاً رهينة فى البلاط بحيث لايقل عدد الرهائن بأية حال عن خمسمائة إن لم يكن ألفاً وبعد عام يستبدلون بأخرين غيرهم على أن لايعادوا الأولون قبل وصول البدلاء حتى لا يستطيع أحد بسبب الرهائن أن يعصى الملك ويتمرد عليه ويجب كذلك أن يقدم الديالمة والقوهستانيون وأهل طبرستان وشبانكاره وأمثالهم ممن لهم إقطاعات وجرايات وأرزاق خمسمائة رجل منهم ليقيموا فى البلاط لئلا يخلو من الرجال القادرين العاملين حين الحاجة"[1]. ولعل كلمات نظام الملك توضح واحدة من الأساليب السياسية التى اعتمد عليها السلاجقة فى حكم المدن المجاورة حيث معقل للفرس وأصنافهم وهى مجموعات عُرفت طوال تاريخها بمناهضة دول السيادة حتى دولة الخلافة ذاتها لذلك كانت مسألة إقرار أخذ الرهائن من هذه القوى السبيل الوحيد والفعال فى خضوعهم للسلاجقة ويبدو حرص نظام الملك أيضاً من خلال تناوله العدد اللازم منهم فهو يطالب بأعداد كبيرة حتى تكون دافعاً لاحترام ذويهم للتبعية للسلاجقة خوفاً على رهائنهم خاصةً وأنهم يكونون فى الغالب أبناءهم أو أخوانهم، كذلك حرص على العامل النفسى للرهينة فضلاً عن الجانب الاجتماعى فنصح بتبديلهم كل عام وألا يعود رهينة مرة ثانية، وبذلك لايجانبنا الصواب إذا قلنا إن إثبات نظام الملك هذا الأمر يرجع إلى حرصه على الوضع الفقهى لهؤلاء الرهائن . وحرصه على عدم مخالفة تطبيق الشريعة الإسلامية . كما أن إشارته إلى ضرورة إتمام عملية الإبدال أولاً ثم يطلقون الرهائن المقيمين عندهم لسد الطريق أمام العصيان على السلطان السلجوقى بسبب الرهائن . ويرى ضرورة اصطفاء عدداً من الرهائن يتميزون بالقوة وغيرها يقدمهم أصحاب الإقطاعات للاستعانة بهم وقت الحاجة. وربما يكون هذا الأمر من المهام التى لم يعرفها نظام الرهائن داخلياً وخارجياً .

([1]) نظام الملك:سياست نامه، ص١٤٢

بات نظام الرهن وسيلة وسلاحاً نافذاً خاصة خلال فترة اضطراب الأحوال السياسية فى الدولة السلجوقية أثناء الحرب بين السلطانيين محمد وبركيارق ابنا ملكشاه[1] فلجأ إليه كافة القواد لتسيير أمورهم بعيداً عن مواجهة السلطان السلجوقى حيث قام الأمير جاولى[2]. بالاتفاق مع مبعوث السلطان محمد فشرط عليه مغادرة العسكر بلاده على أن يرسل ابنه له رهينة [3]. كذلك عمد بعض الأمراء إلى عرض الرهائن بهدف الخروج من أى مأزق خاصة إذا شعر بضعف جانبه فيقوم على الفور بتقديم الرهينة حتى إذا ما نجح فى تحقيق أهدافه انقلب على الإتفاق، وألح فى طلب الرهينة وإعادته إليه. وقد يقوم بتجريد الجيوش فى سبيل تحقيق ذلك. كذلك شهدت هذه الفترة انحراف تام عن احترام قواعد الرهن وصار ضرباً من ضروب الإنتقام الذى وصل إلى حد تعرض الرهينة للقتل بدون ذنب أو مخالفة من جانب مرهونة. فلما خاف الأمير قرجان صاحب حمص من تأخر وصول العساكر السلطانية وأن يقوم أصحابه بتسليم حمص لعدوه[4] أسرع بالاتفاق مع إيلغازى[5] أن يطلقه ويأخذ ابنه أياز رهينة على أن يمنعه من كل منافسيه فوافق على ذلك أطلقه وتحالفا وسلم أيلغازى ابنه له كرهينة وسار من حمص إلى حلب[6] ثم ما لبث أن نكث إيلغازى الإتفاق فجمع التركمان وقفل راجعاً ألى حمص وطالب بابنه إياز[7].

---

(1) محمد وبركيارق ابنا السلطان ملكشاه دخلا فى صراع على السلطة ودارت بينهما حروب استمرت لسنوات حتى تم الصلح بينهما ثم انفرد محمد بالسلطنة بعد موت بركيارق (الراوندى: راحة الصدور،ص١٩٣)

(2) الأمير جاولى: علم الدين سنجر الأمير كان أولاً نائباً بالشوبك بغير عدة ثم نقل منها وجعل أميراً فى أيام السلار(الصفدى: الوافى بالوفيات،جـ١٦،تحقيق أحمد الأرناؤوط،دار إحياء التراث بيروت ٢٠٠٠،ص٦٩)

(3) ابن الأثير:الكامل فى التاريخ،جـ٩،ص١٢٨

(4) حمص:بلد مشهور قديم كبير مسور وهى بين دمشق وحلب فى نصف الطريق (ياقوت معجم البلدان،مج٢،ص٣٠٢)

(5) أيلغازى: ابن أرتق بن أكسب تولى وأخيه إمرة القدس الشريف بعد أبيهما وتوجها إلى الجزيرة وأخذا ديار بكر (الصفدى: نفس المصدر، جـ١٥، ص١٧٩)

(6) حلب مدينة عامرة غاصة بأهلها كثيرة الخيرات على مدرج طريق العراق (ابن حوقل:صورة الأرض ،ص١٧٧)

(7) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ،جـ ٩،،ص١٥٤

وكانت جيوش السلطان محمد قد وصلت إلى بلاد الشام وقامت بالاستيلاء على المدن وتسليمها إلى الأمير قرجان الذى قام بدفع ابن أياز إلى جيش السلطان ليكون رهينة للجيش، وقد أعرض كثير من قادة الجيش عن مواصلة الحرب وفتروا فى ذلك مما أدى إلى انتصار الأمراء إيلغازى وغيره ممن تحالف مع الصليبيين ضد عسكر السلطان فلما شعروا بحرج موقفهم قاموا بقتل الأسرى الذين أخذوهم عند قتالهم كما قتلوا إيازابن إيلغازى. وتمثل حادثة دفع ابن إيلغازى إلى جيش السلطان المرة الثانية التى تقع فى العصر السلجوقى بعد أن دفع طغرلبك بابن سعدى لابن عمه للضغط على أبيه وهو ما يتناقض مع أصل الاتفاق الذى كان بين قرجان وإيلغازى حيث ينبغى ألا يعطيه لأحد لأنه صار فى ذمته ورهينته هووأيضاً يعد قتله سابقة لم تحدث قط فى الدولة الإسلامية.

وعندما وقعت الحرب بين السلطان السلجوقى ودبيس بن صدقة [1]. فراسل دبيس قائد جيش السلطان ،واتفقا على أن يرسل دبيس أخاه منصوراً رهينة إلى السلطان إضافة إلى ابنه.ولم يلبث أن قام السلطان محمود بسمل منصور. فلما علم دبيس بما جرى لأخيه،انتفض وأعلن العصيان وقام بنهب أملاك الخليفة [2]. وتعد حادثة السمل تلك أول حادثة من نوعها تتعرض لها تتعرض لها رهينة فى العصر الإسلامى فضلاً عن كونه مسلماً ويعد هذا بلا شك خروج على أحكام الرهينة وتعدى على مستأمن وهى من الأحداث الشائنة التى وقعت على يد السلاجقة.

كذلك شهد العصر السلجوقى أخذ المرأة رهينة وهى المرة الثانية التى إتخذت فيها المرأة كرهينة، نظير تحقيق الأمن وتوفير المكان . فعندما ضاق الأمر على الأمير سليمان شاه السلجوقى ورفض أخوته السماح له بالإقامة فى أى بلد أراد قصد بغداد فأرسل رسولاً إلى الخليفة العباسى المقتفى يعلمه مجيئه ودارت المفاوضات بينهما واستقر الأمر

---

(1) دبيس بن صدقة:أبو الأغر دبيس بن سيف الدولة أبى الحسن صدقة بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد الملقب نور الدولة ملك العرب صاحب الحلة المزيدية كان جواداً كريماً(ابن خلكان: وفيات الأعيان،جـ٢،ص٢٦٣)

(2) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ٩ ،ص٢١٣،١٩٣، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون جـ٣، ص٥٦٤، ٦١٩،

Kremer: The Orient under the caliphate, Vol2,Calcuta1920,p66.

بينهما على أن يرسل زوجته لتكون رهينة وبعث بها مع جواريها وأتباعها فأكرمهم المقتفى [1] ولعل هذه هى الحالة الوحيدة التى كان للخليفة العباسى بعد الخليفة المعتضد رهن خلال العصر العباسى الثانى.

ويجب الإشارة إلى أن الرهينة لم تكن لسبب سياسى من قيام معاهدة وغيرها بل هى حالة شخصية تخص أمير وكان الإتفاق بينهما بشكل ودى وخاص.

كذلك كثر تبادل الرهائن بين القادة، وأمراء المدن خاصة أثناء اضطراب الأمور أواخر العصر السلجوقى . فقد انتهز إيثاق وهو أحد أمراء السنجرية حالة الاضطراب، وأعلن العصيان وقام بأعمال السلب والنهب فى المدن المجاورة فخافه كثير من أمراء المدن فقرر السلطان محمود بن محمد [2] الخروج لحربه فتتبعه وأخذ في التضييق عليه فاضطر إلى الصلح مع السلطان وسير ابنه رهينة [3].

سمات نظام الرهن فى العصرالأيوبى:-

يمثل العصر الأيوبى قمة تطور وازدهار نظام الرهن السياسى فى الدولة الإسلامية حيث اتسع نطاق الاعتماد عليه وبات واحداً من أهم الاساليب التى استخدمتها كافة القوى فى ذلك الوقت وذلك يرجع إلى كثرة عدد الإمارات والقوى الإسلامية على الساحة آنذاك فضلاً عن علاقة الأيوبيين بالصليبيين وهى التى زادت بشكل لم يكن له مثيل من قبل بسبب بداية الحروب الصليبية وقدوم الحملات من الغرب إلى بلاد الشام الذى صار ساحة للحرب بين الطرفين. لذلك سوف تقوم الدراسة على تتبع نظام الرهائن بين القوى الإسلامية فى ذلك الوقت من جانب وبين المسلمين والصليبيين من جانب آخر.

أولاً الرهائن بين الإمارات والقوى الإسلامية:-

فمع بداية ظهور القوة الأيوبية على الساحة السياسية خاصة بعد وفاة نور الدين محمود . غلب الصراع والتنافس على السلطة بينهم وبين الزنكيين أصحاب السيادة مما أدى إلى نشوب الكثير من الحروب بينهما فاضطروا للجوء فى بعض الأحيان إلى تبادل

---

(1) ابن الأثير: نفس المصدر ،ص ٤٠٥،ابن خلدون: نفس المصدر ، جـ٥، ص ٨٤

(2) محمود بن محمد: مغيث الدين السلجوقى أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه تولى السلطنة بعد أبيه وخطب له ببغداد (ابن خلكان:وفيات الأعيان ، جـ٥، ص١٨٢)

(3) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٩، ص٥٥٢

الرهائن فيما بينهما للحد من هذا التنافس ولضمان احترام كل منهما للعهود والمواثيق التى اتفقا عليها .

ففى سنة ٥٧١هـ - ١١٧٥م. ونتيجة للتنافس بين أمراء البيت الزنكى وصلاح الدين الأيوبى[١] فضلاً عن عدم الثقة فيما بينهما فكان إعطاء كل منهما للآخر الرهائن أساساً ثابتاً فى علاقتهما السياسية.فعندما أرسل الملك الصالح[٢]. لصلاح الدين فى السماح له بدخول حلب وطلب الرهائن منه فأنفذ له صلاح الدين رهينتين هما شمس الدين بن أبى المضاء الخطيب والعماد كاتب الإنشاء كذلك أرسل الملك الصالح من حلب لصلاح الدين رهينته نصرة الدين بن زنكى ، ولم يلبث أن أطلقه صلاح الدين حيث قرر قتال أهل حلب . ويبرهن موقف صلاح الدين على دور الرهينة فى العلاقة بين القوى السياسية فهو أخذه لضمان الوفاء والحفاظ على سلامة رهائنه لدى الجانب الآخر فلما قرر حربهم أطلق الرهينة الذى هو شرط وضمان لما اتفق عليه الجميع من استقرار الأحوال بينهم.ومن ثم يعد إطلاق الرهينة نقضاً للعهد بينهما حيث يستطع القيام بأى شئ ضدهم ومنها إعلانه الحرب عليهم. بينما عامل الملك الصالح رهينتين صلاح الدين معاملة سيئة إلى حد ما. حيث حكى العماد الكاتب بنفسه ما تعرضوا إليه على يد ابن العجمى الذى وكل بهما. فمنذ دخولهما إلى المدينة وضعهما فى بيت وعزل عنهما غلمانهما ولم يحضرا لهما طعاماً ولا مصباحاً بل وتعرضا للاستجواب من قبل الملك الصالح [٣].

ويدلل هذا الخبر على حدوث بعض التجاوز فى معاملة الرهائن من الناحية الاجتماعية والسياسية على حد سواء حيث تعرض هذان الرهينتان لأنواع من القهر والضيق تتنافى مع العرف السائد فى معاملة الرهائن خاصةً بين القوى الإسلامية وبعضها البعض. ويتبين من سوء أحوال الرهائن مدى اضطراب أحوال الدولة النورية عقب موت نور الدين محمود فصارت الرهائن فى عداد المسجونين بل باتت تتعرض

---

(١) صلاح الدين الأيوبى :أبو المظفريوسف بن أيوب بن شاذى ولد سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة بقلعة تكريت (ابن شداد: سيرة صلاح الدين ،دار ابن خلدون، الإسكندرية،ص٤،٣)

(٢) الملك الصالح:إسماعيل بن نور الدين محمود جلس بعد أبيه فى الملك وحلف له ولم يبلغ الحلم (أبو شامة: الروضتين،جـ٢،ط١،تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧، ص٣٣٢)

(٣) نفسه:ص٤١٣، ٤١٤

لأنواع العذاب والتضييق عليهم بشتى الوسائل مما يدل على أن نظام الرهن لم يعد يلتزم بقوانينه من ذلك قول ابن الدمشقى:" وبقى الملك الصالح فى قلعة حلب ومضى العماد الكاتب إلى الموصل قال وعزمت على خدمة سيف الدين صاحبها وقد أخذ بلاد الجزيرة ومضى إليه ابن العجمى للإصلاح فأصلح بين ابنى العم وغلق رهن إخوة مجدالدين فى الاعتقال وضيقوا عليهم فى القيود والأغلال وألزموهم بتسليم الحصون وتقديم الرهون"[1].

وقد استمرت الرهائن تلعب دوراً هاماً فى اتمام الصفقات والإتفاقات بين أمراء بلاد الشام سواء الزنكيين أو الأيوبيين. حيث كانت الضمانة الوحيدة التى تمسكوا بها إلى حد بعيد. ففى سنة ٥٧٨هـ- ١١٨٢م.اتفق كل من زنكى بن مودود بن آق سنقر أبوسعيد حفيد الأتابك زنكى الملقب عماد الدين صاحب سنجار[2]، مع صلاح الدين على أن يقوم صلاح الدين بفتح سنجاروتسليمها إليه فى حين يقوم زنكى بإعطائه حلب فلما علم الأميرعماد الدين زنكى بفتح صلاح الدين لسنجار وعزمه على القدوم إلى حلب للمنازلة أسرع زنكى بتخريب الكثير من الأماكن والحصون بها وأخذ الرهائن من حلب خوفاً من تسليم البلد[3].

وفى أثناء خلاف الدولة مع أسامة بن منقذ [4] رفض كثير من الأمراء السماح بخروج أهله من مصر وطالبوا أن يبقوا بالبلاد رهائن حتى يأمنوا ما يكون منه[5].

ظلت الرهائن الوسيلة الوحيدة التى اعتمد عليها أمراء الأيوبيين والزنكيين بالإضافة إلى أمراء الأكراد فى كافة علاقتهم السياسية حيث توسعوا فى ذلك حتى فى أبسط الأمور وقد وصلوا فى ذلك الأمر إلى حد أنهم أخذوا الشخص ذاته رهينة إلى أن يأذن لأمرائه بتنفيذ ما تم الإتفاق عليه. كذلك كان الرهن لوقت قليل فهو ارتبط بتنفيذ

---

(١) أبو شامة:الروضتين،جـ٢،ص ٣٣٢

(٢) سنجار:مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة(ياقوت: معجم البلدان، مج٣، ص٢٦٢)

(٣) كمال الدين: بغية الطلب:،جـ٨،ص٣٨٥٨،٣٨٥٧

(٤) أسامة بن منقذ: أبو المظفر أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الكلبى الملقب مؤيد الدولة من أكابر بنى منقذ له تصانيف عديدة فى فنون الأدب(ابن خلكان: وفيات الأعيان،جـ١،ص١٩٥)

(٥) أبو شامة: الروضتين،جـ١،ص٣١٥

الأمر ثم يطلقونه .مما يدل على عدم الثقة التى كانت سائدة بينهم كما أنها تدل فى الوقت نفسه على أهمية هذا النظام ودوره فى تسيير الحياة السياسية بينهم.

ومن أشهر الرهائن خلال تلك الحقبة هو حمل زنكى إلى الملك الأشرف [1] ليكون رهينة عنده حتى تسلم القلاع التى اتفق عليها[2].

كذلك عندما حارب الملك المعظم عيسى[3]. أخيه الملك الأشرف كتب إلى صاحب إربل[4] لاعانته على حرب أخيه وحتى يجبره على مساعدته أرسل إليه ابنه الملك الناصر داود رهينة [5].

ثانياً: تبادل الرهائن بين المسلمين والصليبيين:- يعد العصر الأيوبى العصر الذهبى لتبادل الرهائن بين القوى الإسلامية والقوة المسيحية فى بلاد الشام حيث فرضت الظروف على الدولة الأيوبية بحكم مجاورة الإمارات الصليبية ببلاد الشام فضلاً عن إنها كانت الدولة المعنية بصد هجمات الصليبيين على أراضى دولتها التى هى فى نفس الوقت أرض الإسلام. ومما يلفت الانتباه أن عملية تبادل الرهائن كانت دائماً مرتبطة بحالة التهدئة بين القوتين وعقد معاهدات الصلح بينهما فى أغلب الأحيان . كذلك كان انعكاساً لانتصار أى من القوتين فكان الفريق المنتصر يأخذ الرهائن من المنهزم.

وإذا كان أكثر تبادل الرهائن بين المسلمين وأعدائهم من غير المسلمين خلال تلك الفترة من الصليبيين للتجاور داخل البلاد الإسلامية فهو ما لايتعارض مع ما أثبتناه من عدم تبادل للرهائن خارج حدود الدولة الإسلامية وإنما جاء التبادل فى نطاق المجاورة والدليل على ذلك أن التبادل كان بين الصليبيين والقوة السياسية التى تسيطر على بلاد

---

(1) الملك الأشرف:أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر ابن أيوب الملقب الملك الأشرف مظفر الدين أول شئ ملكه من اللاد مدينة الرها سيره إليها والده من الديار المصرية سنة٥٩٨هـ ثم أضيفت له حران(ابن خلكان :نفس المصدر،جـ٥،ص٣٣٠)

(2) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ١٠، ص٣٩٠

(3) المعظم عيسى:ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب دمشق وطبرية وغيرها (ابن الأثير: الكامل فى التاريخ،جـ١٠،ص٤٧٣)، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،جـ٦ ،ص٢٥٧

(4) إربل:بالكسر قلعة حصينة ومدينة كبيرة فى فضاء من الأرض وتعد من أعمال الموصل(ياقوت:معجم البلدان،مج١،ص١٣٨)

(5) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،جـ٦،ص٢٥٧

الشام بوجه خاص. وشهدت مرحلة الصراع بين القوة الأيوبية والصليبيين فـــى أعقـــاب انتصار صلاح الدين عليهم فى موقعة حطين ومن ثم أخذوا فى تكثيف الحملات على بـــلاد الشام ومصر على حد سواء وما ترتب على هذه الحملات من انتصارات أو هزائم لكل من الطرفين وبالطبع فقد صاحب هذه الأمور عملية تبادل الرهائن بين الطرفين ضـــماناً فـــي كثير من الأحيان لشروط الصلح أوالأغلب للوفاء بشروط الصلح وهو ماترتب عليـــه أن الرهائن التى يأخذها الجانب الصليبي كانت تأخذ لفترة وجيـــزة وربمـــا بقيـــت بإمـــارات الصليبيين ببلاد الشام وهو الأكثر حدوثاً حينئذ.

وكان من المعتاد خلال العلاقات والحروب بينهما ففى حال نجاح المســـلمين فـــى الاستيلاء على المدن أو الحصون من أيديهم كان الصليبيون يبـــادرون بتقـــديم رهـــائنهم للمسلمين حتى يمهلوهم لنقل أملاكهم [1].

كذلك لجأ المسلمون فى بعض مراحل الصراع بينهم وبين الصليبيين ببلاد الشام إلـــى استخدام الرهائن فى المجال العسكرى ولتحقيق مكاسب سياسية دون حاجة إلى تجيـــيش الجيوش من أجل تحقيق هذا الغرض لهم مثل فتح المزيد من الحصون ولتحقيق أغراضهم العسكرية دون قتال فكانوا يعطون الرهائن للجانب الصـــليبي، فعنـــد محاولـــة صلاح الدين فتح صهيون وغيرها من الحصون جاءه أحد الـــروم وطلـــب الأمـــان نظيـــر تسليمه للحصن خلال ثلاثة أيام بشرط أخذ رهائنهم للوفاء به [2] .

ولما خرج صلاح الدين إلى تأديب ابن ليون حاكم الأرمن وعلـــى الـــرغم مـــن انتصار المسلمين وتشدد صلاح الدين فى شرط الصلح إلا أنه حرص على أخذ رهينة من ابن لاون [3]. وكان هذا بدافع الاحتياط.

استمرت عملية أخذ الرهائن بين المسلمين والصليبيين ببلاد الشام من باب المبادلة والاحتياط .

فلما قام قاضى جبلة[4] بفتحها وتسلمها من الصليبيين بعد أن أصابهم الرعب مـــن

---

(1) أبو شامة:الروضتين :جـــ٣، جـــ٤،ص٣٢١، ص٥٠

(2) ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،جـــ٥،ص٣٦٤

(3) محمد الأيوبى:مضمار الحقائق:تحقيق حســـن حبشـــى،القاهرة،ص٤٣،٤٢،أبـــو شـــامة: الروضـــتين ،جـــ٢،ص٥٦

(4) جبلة:قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية(ياقوت: معجم البلدان، مج٢،ص١٠٥)

جيش المسلمين فاستنزلهم من القلعة بشرط أن يأخذ بعضاً منهم رهن إلى أن يردوا من بأنطاكية[1] من رهائن أهل جبلة المسلمين فلما أعاد صاحب أنطاكية ماعنده من الرهائن أطلق القاضى رهائنه[2] طبقاً للشروط التى أعطاها لهم.

وقد استخدم نظام تقديم الرهائن فى بعض الأحيان من الجانب الإسلامى إلى الصليبين واحدة من أساليب الحفاظ على أراضيهم وحتى يضمن عدم تعرض بلاده إلى غزو من قبل الصليبيين الذين رأوا هم أيضاً فى أخذ الرهائن من القوى الإسلامية التى يمروا بأراضيها وصولاً إلى بلاد الشام الوسيلة الوحيدة التى تضمن لهم عدم الغدربهم أو تعرضهم للقتل على يد المسلمين. ففى أثناء عبور جموع الصليبين بقيادة ملك ألمانيا بأراضى السلطان قليج أرسلان[3] عمل على ممالأتهم حتى عبورهم فلما طلب ملك ألمانيا منه إعطاءه عدداً من الرهائن المسلمين ضماناً له من عدم تعرضهم للسرقة على يد اللصوص وحتى لايضللهم الأدلاء فى الطريق أسرع بإعطائه خمسة و عشرين رهينة من كبار قادته الذى يكرههم وكان يتخوف من قوتهم وإزدياد نفوذهم ورأى فى تقديمهم رهينة للصليبيين فرصة كبيرة للتخلص من خطرهم وتأمين حكمه.وقد تعرض هؤلاء الرهائن لصنوف عديدة من الأذى ونالهم كثير من الضرر عندما وصلوا إلى بلاد الأرمن حيث قام مقدمهم ابن لاون بأخذهم وقيدهم وأسرهم وجردهم مما معهم وظلوا هكذا حتى خلص بعضهم نفسه بدفعه أموالاً كثيرة بينما بقى بعضهم مأسوراً[4]. وهى من الأمور التى انتهكت فيها أسس الرهن ونظامه بشكل واضح حيث نكلوا بالرهائن المسلمين خاصة إذا ما قورنت بما يطلبه الصليبيون من المسلمين عندما يتمسكوا فى أمر أخذ الرهائن منهم . وقد نستشف من ذلك الأمر أن الأعراف الخاصة بالرهائن تغيرت من فترة

---

(1) أنطاكية:قصبة العواصم من الثغور الشامية وهى من أعيان البلاد وأمهاتها (ياقوت :نفس المصدر، مج١،ص٢٦٦)

(2) المقدسى:نفس المصدر:جـ٤،ص٢٠،١٩، ابن واصل: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب،جـ٢،تحقيق جمال الشيال،القاهرة١٩٥٧،ص٢٥٩.

(3) قليج أرسلان:ابن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق كان ملكه سنة٥٥١هـ وكان ذا سياسة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة توفى سنة ٥٨٨هـ(تاج الدين شاهنشاه: كتاب التاريخ،دار ابن خلدون الإسكندرية،ص٢٨٦)

(4) أبو شامة: الروضتين،جـ٤،ص١٣٤

إلى أخرى بل، ومن قوة إلى أخرى، وفقاً لمصالحهم السياسية والحربية دون اعتبار لأى عرف أو الالتزام بتقاليد تصل إلى حد القانون الواجب التنفيذ ،وهى سمة غلبت على تبادل الرهائن بين المسلمين والصليبيين على وجه الخصوص. ومما يدل أيضاً على تعرض نظام الرهن السياسى إلى الخرق من الجانب الصليبي عند انتصارهم على القوى الإسلامية وعقد المعاهدات و الصلح بين القوتين والتى تخللها فى بعض الأحيان تبادل الرهائن بينهما فبعد أن استولوا على عكا[1] اتفق الطرفان على تبادل الأسرى بينهما. وقد نصت على إرسال مائة ألف دينار إليهم وإطلاق ستمائة أسيرلهم فضلاًعن صليب الصلبوت ،وشرط عليهم صلاح الدين أن يستلموا ما عاينوه ماعدا الأسرى المعنيين من جانبهم، فيكون ذلك فى مرحلة ثانية ولاثبات صدق المسلمين فى هذا الصلح عرض صلاح الدين أن يأخذوا الرهائن لاتمام باقى الشروط نظير تسليمهم كافة أسرى المسلمين أو أن يقدموا رهائن منهم مقابل ما يأخذوه من المسلمين حتى يتم استرداد كافة الأسرى لديهم فرفضوا ذلك مطالبين المسلمين القناعة بأمانتهم وهو ما رفضه بالطبع الجانب الإسلامى لأنهم خشوا أن يأخذ هؤلاء المال والصليب وأسراهم ثم ينكلوا بالمسلمين [2] وفى أثناء حصار حصن تبنية[3] على يد أخى السلطان الأمير الملك المظفر تقى الدين عمر أرسل أهله إلى السلطان يسألوه الأمان وأن يمنحهم خمسة أيام ليتمكنوا من حمل أمتعتهم وممتلكاتهم نظير تقديمهم الرهائن له [4] وعندما خرج ابن مشطوب[5] من أسر الفرنج تعهد بدفع خمسين ألف دينار أعطاهم ثلاثين وقدم رهائن مقابل العشرين الباقية[6]

---

(1) عكا:مدينة حصينة على البحر كبيرة الجامع فيه غابة زيتون تقوم بسرجة وزيادة(المقدسى: أحسن التقاسيم، ص١٦٢)

(2) ابن واصل: مفرج الكروب،جـ٢،ص٣٦٤،

(3) حصن تبنية:تبنين بلدة فى جبال بنى عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور(ياقوت:معجم البلدان،جـ٢،ص١٤)

(4) الحنبلى:الأنس الجليل:جـ١،تحقيق عدنان يونس،عمان١٩٩٩،ص٣٢٥

(5) ابن مشطوب: سيف الدين على بن أحمد المشطوب الهكارى مات بنابلس وكانت إقطاعه فى شوال سنة ٥٨٨هـ(أبو الفدا:المختصر فى أخبار البشر،مج٢،جـ٣،ص٨٣)

(6) الحنبلى: الأنس الجليل:جـ١،ص٣٨٥،أبو شامة:الروضتين:جـ٤،ص٢٩٨

وفى أثناء الحملة الصليبية الخامسة على دمياط ولما تم التوصل إلى الصلح لجلاء الصليبيين عنها طلب الصليبيون من الملك الكامل [1] رهينة ضماناً لسلامة خروجهم وحتى لايغدر بهم فبعث الملك الكامل ابنه الصالح أيوب وعمره حينئذ خمس عشرة سنة. فى حين أرسل الصليبيين الكثير من الرهائن بلغ عدتهم عشرين فيهم أحد الملوك وصاحب رومية وعدداً من القساوسة والأمراء. ولما توثقا من بعضهما سلمت دمياط إلى المسلمين [2] وأهم ما يلاحظ على نظام الرهائن فى العصر الأيوبى أنه صار يدخل فى إطار المصلحة العامة وأنه أصبح يخدم مجالات أخرى غير ما اعتاد عليه العرف فى استخدام هذا النظام. حيث أصبح الرهينة عوضاً عن المال خاصةً من جانب القوة الأيوبية وعلاقتها مع القوة الصليبية بصفة خاصة .ومما يلفت الانتباه إلى شئ فى غاية الأهمية وهو أن نظام الرهائن صار بدلاً للأموال التى تعجز الدولة عن تقديمها للأعداء. كذلك اضطر المسلمون إلى تقديم الرهائن للروم من طرفهم فقط أى أنه لم يتبادل الرهن بينهما وهو بالطبع عند انتصار الروم عليهم ثم تحرج موقفهم نتيجة للمقاومة الإسلامية أو عند قيام الهدنة بينهما فكان يشترط الصليبيون غالباً فى الصلح تسلم رهائن لضمان سلامة خروجهم أولاً، وعدم قيام المسلمين بالإغارة على إماراتهم[3].

لعب نظام الرهن دوراً هاماً فى تقدير قوة بعض الزعامات خاصة التى برزت على الساحة السياسية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين .وكذلك كان نظام الرهائن برهاناً ودليلاً قوياً على علو شأن بعض الأمراء من خلال أخذهم الرهائن حيث كان يقدم له المنافسين رهائنهم، ونستشف من تعدد الرهائن عنده من زعامته وبسط نفوذه، وهوما يبرز مكانة بعض القادة منهم الأمير جاولى الذى توسع فى أخذ الرهائن ليس فقط من المسلمين بل ومن الروم وفى إطار تبادل الرهائن المعتاد بين الروم والمسلمين بالشام. خضع هذا النظام إلى بعض التعديلات بعد إتمامه بحيث يتمشى مع الهدف المنشود منه

---

(1) الملك الكامل:محمد السلطان ناصر الدين أبو المعالى وأبو المظفر ابن السلطان الملك العادل ولد بمصر سنة ٥٧٦هـ تولى سلطنة مصر فى حياة أبيه حيث عهد إليه بها لما رأى من ثباته وعقله وسداده ثم انفرد بها بعد وفاة أبيه (ابن تغرى بردى:النجوم الزاهرة،جـ٦،ص٢٢٧)

(2) الحنبلى:نفس المصدر،ص٤٠٤،ابن تغرى بردى: نفس المصدر،ص٤٢١ ،ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥،ص٩٠

(3) الحنبلى: الأنس الجليل:،جـ ١، ص ٣٢٥، ص٣٧٧

فى إقرار الهدوء والهدنة بين الطرفين فى حال إذا ما رأى أى فريق- خاصة الروم - أن الشخصية التى رُهنت من شأنها العمل على شعورهم بعدم التكافئ مع المسلمين فى القوة سواء الدينية أو السياسية بطبيعة الحال. ففى سنة ٥٠٢هـ - ١١٠٨م. أخذ جاولى القمص بلدوين أسيراً حتى يفدى نفسه فأرسله إلى قلعة جعبر[١].ثم جاء جوسلين أحد فرسان الروم ليكون رهينة مكانه وأطلق القمص ولم يلبث جاولى أن أطلق جوسلين أيضاً وأخذ رهناً مكانهما أخى زوجته وأخى زوجة القمص [٢].

ومن الحالات التى استعمل فيها المسلمون أيضاً الرهن وسيلة من وسائل الحيلة والحرب والضغط على الروم فقاموا بالحيلة على الروم فباعوهم أحد الحصون ببلاد الشام نظير مبلغ كبير من المال وبعثوا شيخاً من أهل الحصن، وولديه رهينة إلى أنطاكية حتى يتم دفع المال وتسليم الحصن فلما استلموا الأموال جاء جوالى ثلاثمائة لتسلم الحصن فقاموا بقتلهم وأسروا آخرين ثم سمحوا لهم فباعوهم أنفسهم بمال آخر ثم فدوا الشيخ وولديه[٣]. وبعيداً عن مسار الحدث نلاحظ أن عملية فداء الرهائن يعد انتقاض لأصل ومبدأ الرهن من كونه شخص يوضع فى بلد الخصم شرط معاهدة أو اتفاق ويُرد فى حال الوفاء بما سبق وتم تنفيذه لأنه كما هو معروف أن الفداء خاص بالأسرى فقط وهناك فرق كبير بين وضع الأسير ووضع الرهينة.

ولأهمية مسألة الرهائن نجد بعض الكتاب يصنف فى مؤلفاته تفسيراوهناك بعضاً من الأخبار تشير إلى أن نظام الرهائن ربما لم يشمله التبادل بين رهائن الطرفين، بل كان الروم ينظروا إلى رهائن المسلمين على أنهم أسرى فى بعض الأحيان ولم يدرجوا ضمن عمليات الفداء التى كانت تتم بين الطرفين بل كان هؤلاء الرهائن يفادوا أنفسهم بالأموال نظير إطلاقهم، وقد ظهر جماعة فى بلاد العالم الإسلامى تعرَف باسم (المصطبانيون) أدعوا أنهم خرجوا من بلاد الروم تاركين أهلهم رهائن لديهم فأخذوا يجوبون البلاد ومعهم شعورهم لجمع المال لفك رهنهم[٤].

---

(١) قلعة جعبر:على الفرات مقابل صفين كانت تعرف أولاً بدوسر فتملكها رجل من بنى نمير يقال له جعبر بن مالك فغلب عليها فسميت به(ياقوت:معجم البلدان،مج٤،ص٣٩٠)

(٢) ابن الأثير:الكامل فى التاريخ،جـ٩،ص١٢٦،ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون ،جـ٥، ص٤٧، ٢١٩

(٣) ياقوت:معجم البلدان،مج٤،ص١٠٨

(٤) الثعالبى:يتيمة الدهر: جـ٣، تحقيق مفيد قمحة،دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣، ص٢

وضع الرهائن بالمشرق الإسلامى: أما فى مشرق الدولة فقد كانت العلاقة بين القوى الإسلامية به وماجاورها من بلاد غير إسلامية علاقة عكسية على مدار التاريخ الإسلامى، فعند قوة الدولة الإسلامية المسيطرة على مقاليد الأمور بهذه المناطق تضطر القوة المجاورة إلى المهادنة، و يضطرون فى كثير من الأحيان إلى دفع الجزية لها، وعقد معاهدات الصلح معها فإذا أصاب المسلمون الضعف قام الأتراك بنقض المعاهدات،وأولها بالطبع الامتناع عن دفع الجزية والأخذ فى الإغارة على أراضى الدولة الإسلامية ثم يقومون باسترداد المدن التى أخذها منهم المسلمون بل والإغارة على أراضى الدولة الإسلامية.

ولما اضطربت الأمور وساءت الحالة السياسية وعمت الفوضى أرجاء العالم الإسلامى، مما أدى إلى طمع القوى الخارجية فى أراضيه بدأت سلسلة من الهجمات التى شنتها القوى المجاورة لبلاد المشرق من الأتراك الكفار فكان الخطا[1] أول هذه السلسلة حيث أخذوا يغيرون على أراضى الدولة السلجوقية ثم الخوارزمية وقاموا بالكثير من أعمال السلب والنهب وهنا ظهر نظام أخذ الرهائن سواء بين تلك القوى والمسلمين أو بين القوى الإسلامية عند محاولتهم الاستنجاد ببعضهم البعض من أجل حرب الأعداء حيث طلب البعض الرهائن نظير تقديم المساعدة . وقد سجلت كتب التاريخ بعضاً منها على سبيل المثال قيام عدد كبير من الأمراء بطلب مساعدة السلطان خوارزم شاه[2] لما له من نفوذ و قوة وكثرة عدد جنده بالإضافة إلى علو نجمه فى تلك المناطق ونجاحه فى السيطرة على الكثير منها . ففى سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م.كاتبه الحسن بن خرميل نائب هراة يعرض عليه الدخول فى طاعته مقابل أن يمده بجيش يحارب به الغور[3] فطلب خوارزم شاه منه إرسال ابنه رهينة أولاً ثم يرسل له العسكر،وفى سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م. أرسل أمراء بخارى وسمرقند يستنجدون به لمساعدتهم فى التخلص من سيطرة

(١) الخطا:هم من الترك الكفار يقطنون نواحى الصين كانوا يغيرون بين الحين والآخر على ما جاورهم من بلاد الإسلام (ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم،جـ١٠،ص١٠٢)

(٢) خوارزم شاه:محمد بن أنوشتكين ولاه الأمير حبشى خوارزم ولقبه خوارزمشاه قرب أهل العلم والدين (ابن الأثير:الكامل فى التاريخ، جـ٨، ص١٨٤)

(٣) الغور:أول من ملك منهم رجل اسمه الحسين بن الحسن ملك جبال الغور ومدينة فيروزكوه وهى تقارب أعمال غزنة(ابن الأثير:نفس المصدر، جـ٩، ص٣٣)

الخطا عليهم، فاتفقوا معه على محاربة الخطا وأن يحملوا إليه ما كانوا يحملوه إليهم من أموال ويذكروا اسمه فى الخطبة وعلى السكة، فوافق على ذلك لكنه أظهر خوفه من عدم الوفاء له فقاموا بإعطائه الرهائن حتى يتأكد من صدقهم[1].

كان شرط خوارزم هذا الوسيلة الوحيدة التى رأها تضمن سلامة عساكره حتى لايغدر هؤلاء الأمراء به.

كذلك اعتمدت الدويلات الإسلامية بالمشرق اعتماداً كلياً على أخذ الرهائن وتبادلهم خاصةً عند قيامهم بحركة الفتح لبلاد الهند فى تلك الفترة، فكانت واحدة من أهم الوسائل التى عمدوا عليها لتثبيت أركان الإسلام هناك ومن ثم عدم غدر أهالى هذه البلاد بالمسلمين وجيشهم وأيضاً لجأ الطرفان إلى تبادل الرهائن بينهما لبقاءاستقرار الأحوال بينهما وعدم قيام أى منهما بغزو أراضى الطرف الآخر. ومما يجدر قوله إن المسلمين كان أخذهم للرهائن أكثر فى هذه المناطق إلى حد أنه يمكننا القول إنهم انفردوا بذلك دون أعدائهم من الكفار.

كما أدت هذه الطريقة إلى بقاء هذه الأراضى فى حوزة الدويلات الإسلامية فترة طويلة من الزمن . كما أن أخذ الرهائن من هذه الشعوب نتج عنه انتشار الإسلام فى هذه البلاد بفضل تعلم واعتناق كثير من هؤلاء للإسلام ثم نشرهم له بعد عودتهم إلى بلادهم وهو ماتنتج أيضاً عن حالة الاستقرارالتى ترتبت على تبادل الرهن مما أتاح الفرصة إلى الاحتكاك بين المسلمين والهنود ومعرفتهم بالدين الإسلامى ومن ثم اعتناق بعضهم له .

لما كثرت غزوات الأمير شهاب الدين [2] إلى بلاد الهند وأثخن فى أهلها قررأهلها تسليمه رهائن منهم لمصالحته [3]. ومع بداية الغزو المغولى وما شهده العالم الإسلامى من اضطرابات وانتاب الناس سواء المسلمين أو الكفار فى كافة البلدان الرعب والفزع حينئذ. مما دفع الناس على كافة المستويات ، وأولهم الأمراء وأصحاب النفوذ إلى تقديم كل ما يستطيعونه لضمان سلامتهم فكان الشئ الوحيد أمام هؤلاء هو تقديم الرهائن

---

(1) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ١٠، ص٣١١، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،جـ٥، ص١١٩

(2) شهاب الدين:أبو المظفر محمد بن سام بن الحسين الغورى ملك غزنة وبعض خراسان كان شجاعاً كثير الغزو عادلاً فى الرعية(أبوالفدا: المختصر فى أخبار البشر، مج٢،جـ٣،مكتبة التنبى القاهرة، ص١٠٦)

(3)ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٩،ص٣٨١

للحصول على السلامة ولانقاذهم والنجاة مما فيه. فقد قام القفجاق[1] بعد استيلاء التتار على أرضهم وتمزقهم على البلاد المجاورة قام فصيل منهم بقصد دربند شروان[2] وعرضوا على صاحبها أن يعطوه أبناءهم ونساءهم رهائن على الطاعة والخدمة له والخضوع لحكمه و ليسمح لهم بالدخول إليها ويكون فى أمان منهم لكنه رفض ذلك [3]. كذلك قاموا بعرض إعطاء الرهائن لملك كنجة [4] وقداستمر القفجاق يستخدمون مسألة الرهائن وعرضها على القوى الإسلامية المجاورة لهم من أجل إيجاد مكان لهم وحلاً لمشكلتهم. فعندما قصدوا برذعة[5] طلبوا من حاكمها مساندتهم والخروج معهم لقصد الكرج[6] للأخذ بثأرهم لكنه رفض ذلك فأرسلوا يطلبون رهائنهم منه فلم يعطهم أحداً فقاموا بأخذ الكثير من المسلمين بدلاً من الرهائن فثار بهم المسلمون [7].

كذلك يتبين لنا اهمية وضع الرهائن من خلال الدراسات والمسائل الفقهية التى ناقشها العلماء تخص الرهينة ووضعها داخل دولة الإسلام إذا دخل فى الإسلام وأيضاً الموقف إذا مات الرهينة وترك مالاً أو قتل وأعطيت له دية .وربما مناقشة مسألة إسلام الرهائن ووضعهم بعد دخولهم فى الإسلام يؤكد ما سبق الإشارة إليه من أن هذا النظام كان سبباً من أسباب انتشار الإسلام وقد أجمع أغلب العلماء على عدم رد الرهينة إذا أسلم ورأى آخرون إنهم يردوا إذا اشترط ردهم حتى ولو أسلموا. وأن ذلك ما قرره القرآن أيضاً.

---

(1) القفجاق:هم من أكثر الترك عدداً قصدهم التتر فقتلوا كل من وقف لهم فهرب الباقون إلى الخياض (ابن الأثير:الكامل فى التاريخ،جـ٩،ص٣٣٠)

(2) دربند شروان: هو باب الأبواب(ياقوت:معجم البلدان،ج٢،ص٤٤٩)

(3) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ١٠،ص٤٣٠،

(4) كنجة:مدينة عظيمة وهى قصبة بلاد آران وأهل الأدب يسمونها جنزة(ياقوت: معجم البلدان، مج٤، ص٤٨٢)

(5) برذعة: بلد فى أقصى أذربيجان عمارتها بالآجر والجص مدينة كبيرة جداً وهى نزهة خصبة كثيرة الزرع والثمار(ياقوت:نفس المصدر :ج١،ص٣٧٩)

(6) الكرج: وهوجيل من الناس نصارى كانوا يسكنون فى جبال القبق الخزر من الترك الكفار(نفس المصدر:جـ٤،ص٤٤٦)

(7) ابن الأثير:الكامل فى التاريخ،جـ١٠، ص٤٣٢

وقد أصدر الإمام أحمد بن حنبل فتواه فى الرهائن وهى تنم عن المعاملة السمحة التى من الضرورى تتعامل بها الرهينة داخل دولة الإسلام والتى وصلت إلى حد أنه إن نكث القوم الذين بيننا وبينهم رهائن وقاموا بقتل المسلمين عندهم ليس على الرهائن الذين تحت أيدى المسلمين شيئاً [1].

المماليك وموقفهم من الرهائن:- وخلال العصر المملوكى برز دور الرهائن فى القضاء على الفتن ومحاولة بسط الأمن بولايات الدولة خاصة مناطق الأطراف البعيدة عن مركز الدولة ومن ثم كان أخذ الرهائن منهم وسيلة نافعة لولاءها والانضواء تحت سيادة الدولة المملوكية. منها أن الملك المنصور[2] أرسل الأمير حسام الدين طرنطاى إلى بلاد الصعيد على رأس جيش كبير ضم العديد من كبار القادة فقام بإعادة الهدوء إلى هذه النواحى وتخلص من المفسدين بها ثم أخذ الكثير من أعيانهم رهائن وقد أمر السلطان بوضعهم فى الحبوس[3] وقد خالف الأمير بوضع هؤلاء فى السجون يتنافى مع مبدأ حرية الرهينة وما اعتادوا عليه فى دولة الإسلام.

كذلك لجأ بعض أمراء هذا العصر إلى عرض الرهن للحفاظ على أملاكه حتى من أعداء الإسلام فقد سارع بعض الأمراء ببلاد الشام فى مهادنة التتار[4] عند اجتياحهم له، فلما وصل التتار مرعش[5] أسرع نائبه بمدهم بالمؤنة والعلوفات وأعطاهم ابنه رهينة فى مقابل تسليم الرحبة حيال نجاحهم فى الاستيلاء على الشام[6]. وعلى الرغم من غرابة هذا

---

(1) ابن بسام: الذخيرة فى محاسن الجزيرة، جـ٣،ص٤٤٧،ابن مفلح:المقصد الأرشد فى ذكر أصحاب أحمد، جـ٣، تحقيق عبدالرحمن سليمان،ط١،الرياض١٩٩٠،ص١٥،أبو الحسن:طبقات الحنابلة،تحقيق محمدالفقى ، جـ١، ،دار المعرفة بيروت ص٣٩٠

(2) الملك المنصور:سيف الدين أبو المعالى وأبوالفتح قلاوون ابن عبدالله الألفى التركى الصالحى النجمى السابع من ملوك الترك ملك مصر بعد خلع الملك السعيد سنة٦٨٧هـ(ابن تغرى بردى:النجوم الزاهرة،جـ٧،ص٢٩٢)

(3) ابن تغرى بردى :نفس المصدر،ص٣٢٤

(4) التتار: أرضهم بأطراف بلاد الصين وهم سكان البرارى ومشهورن بالشر والغدر ولغتهم مشوبة بلغة الهند سمر الألوان وسريعو الحركة فى الجسم (السيوطى:تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيى الدين ط١،مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٢م ، ص٤٦٧)

(5) مرعش:مدينة فى الثغور بين الشام وبلادالشام(ياقوت:معجم البلدان، مج٥، ص١٠٧)

(6) ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،جـ٥،ص٤٧٨

التصرف إلا أنه يثبت ما بلغه نظام الرهن عند القادة المسلمين بما يحقق مصالحهم الخاصة حتى ولو على حساب مصلحة عامة المسلمين بل والدين.

وعندما انتقض المماليك وثاروا بالقاهرة وأشاعوا مقتل السلطان الأشرف شعبان[1] سنة٧٧٨هـ/١٤٧٣م. فحاولوا مقتل صاحب الدرك فبرأ وأخذ أحد ثقاته رهينة [2]. وكان الغرض من أخذه ضماناً إلى أن يظهر السلطان .

كما استخدم المماليك نظام الرهائن فى العديد من أمورهم حتى أنهم كانوا يأخذون الرهينة لضمان تنفيذ بعض الاتفاقات المالية ففى سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م وعندما عين السلطان الملك الأشرف برسباى[3] الشريف حسن بن عجلان أميراً على مكة بعد أن التزم بحمل ثلاثين ألف دينار، جعله يرسل رجلاً لاحضار المبلغ المطلوب فى حين أبقاه هو بالقاهرة رهينة إلى حين وصول المال[4].

ورصداً لحالات تجاوز نظام الرهن نجد أن علاء الدين بن القلانسى عندما أخذه المغول رهينة مع مجموعة من الأشخاص ظل معتقلاً، ثم نجح فى التنكر، وتمكن من الهرب فلما اتضح أمره، ونودى عليه اختفى بتبريز لمدة شهرين [5]. وهنا يمكن القول إن وضع هؤلاء لايمت لمسألة الرهن بصلة للأسباب التالية أولها: أنهم اعتقلوا وهو ما لاينبغى أن يكون عليه الرهينة لأنه ليس مجرماً أو عدواً حتى يتم اعتقاله.ثانياً: هرب وتخفى ابن القلانسى وهو مالم يقم به الرهينة لأنه يعيش فى كنف الدولة أو الإمارة التى وصل إليها وفقاً لإتفاق محدد.

---

(1) الأشرف شعبان:السلطان الملك الأشرف أبو المفاخر زين الدين شعبان ابن الملك الأمجد حسين بن السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون تولى بعد خلع ابن عمه الملك محمد بن الملك المظفر(ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،جـ١١،ص٢٤)

(2) نفسه، ابن خلدون:نفس المصدر،ص٥٢٨.

(3) الأشرف برسباي: السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباى الدقماقى الظاهرى جلس على تخت الملك يوم خلع الملك الصالح محمد بن الملك الظاهر ططرسنة ٨٢٥هـ(ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،جـ١٤، ص٢٤٢)

(4) نفسه:ص٢٨٣.

(5) وقد اختلفت المصادر حول هذا الخبر ففى حين انفرد ابن تغرى بردى بذكر كلمة أنه أخذ هو وأصحابه رهينة أوردت المصادر الأخرى لفظ أسير وهو ما نرجحه فى هذه الحادثة وفقاً لسير الأحداث وتطورها وهى الأقرب إلى الصحة ولكن أوردنا الخبر لكون جاءت كلمة رهينة وهو ما تطلب استيفاء خبرها.

ومما يبرهن على شيوع أمر الرهائن واعتياده أنه صار يتم فى أمور لاينبغى أن تتم على هذا النحو منها أن أمير العسكر بمكة أرسل إلى الشريف حميضة يدعوه للاستيلاء عليها فوافق الشريف على ذلك وأرسل يطلب منه إرسال أحد أبنائه ليكون عنده رهينة [1]. فإذا تأملنا الخبر نجد أن طلب الشريف الرهينة لايوجد ما يبرره وذلك لأن الحاجب هو من قام بدعوته وهو الذى سيقوم بترتيبه فكيف يبعث من قبله رهينة فالشريف لم يقدم شيئاً وأيضاً حتى إذا خالف الحاجب أو فشل فى إرساء الأمر إليه فهو لم يخسر شيئاً ومع ذلك أرسل الحاجب ابنه رهينة وأخذها الشريف.

ومما تجدر الإشارة إليه أن نظام الرهن إتخذ كسلاح سياسى خطير حيث تمت من خلاله ترتيب بعض المؤامرات لنجاح تنفيذها. ففى ذى الحجة سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م. نشب الصراع بين الأميرين ثقبة وأخيه عجلان من أجل الاستئثار بولاية مكة المكرمة . فلما رأى الأمير ثقبة انفراد أخيه بمكة أسرع إلى الملك مجاهد صاحب اليمن وأغراه بالاستيلاء على مكة وكسوة الكعبة فخرج الملك مجاهد مدعياً الحج ليتمكن من السيطرة عليها وفى نفس الوقت كان الأمير عجلان قد تقرب إلى أمراء مصر للوقوف إلى جانبه فى هذه الحرب فأرسلوا إلى الملك مجاهد يحذروه من دخول مكة بعلامات الحرب من حمل سلاح وغيره وطلبوا منه أيضاً أن يرسل ثقبة ليبقى عندهم حتى انقضاء الحج فيعيدوه إليه فوافقهم، وقام بإرسال ثقبة رهينة عندهم بعد أن اتفق معه على أن يقبض على الأمير عجلان بعد مسير أمير مصر ويتسلم مكة وقد قام الأمراء بإكرامه [2].

---

(1) للمكى:سمط النجوم:جـ٤،ص٢٤٦

(2) ابن تغرى بردى:النجوم الزاهرة ،جـ١٠،ص٢٢٦

الخاتمة

تبين من خلال ما سبق من الدراسة شيوع نظام الرهائن السياسي على نطاق واسع داخل أرجاء الدولة الإسلامية عامة،وكان أكثر شيوعاً منذ القرن الرابع الهجرى حتى سقوط الدولة العباسية.

كان تبادل الرهائن بين الكيانات الإسلامية أكثر مما كان بين القوى الإسلامية وغيرها من القوى السياسية المجاورة سواء الروم أو الترك وغيرهما.

التزم المرهون برعاية حق الرهينة فى أغلب الأحيان فلم ينالوهم بالأذى أو التعذيب وكان التجاوز فى المعاملة – تعرضهم للتعذيب– حالات نادرة وفردية وعلى فترات زمنية بعيدة.

تنوع الرهن على العموم سواء بين الدويلات والقوى الإسلامية بعضها البعض أو بين المسلمين وغير المسلمين ، بمعنى إنه لم يعد قاصراً على الأبناءوالأخوة بل صار عاماً شمل كافة المحيطين وربما تجاوز إلى أبعد من ذلك، عندما قام سيف الدولة الحمدانى برهن كاتبه.

ندرة استخدام المرأة فى الرهن بين كافة القوى سواء الإسلامية أو غيرها.

والملاحظة المهمة التى يجب الإشارة إليها هى ندرة نظام الرهن فى الدولة الفاطمية،فلم تشهد الدولة الفاطمية سوى حالة واحدة تمت على عهد الخليفة الحاكم بأمرالله عندما قام بنى قرة بإرسال رهائن منهم إليه بعد مجيئهم إلى مصر.وقد قام الحاكم بقتلهم. وهذه الحالة تعكس حالة فردية قدمها بنى مرة من تلقاء أنفسهم دون أن يطلب ذلك الخليفة فعلى الرغم من اضطراب الحاكم وقتله لهؤلاء الرهائن إلا إنه لم يكن هو الذى أقر هذا الأمر.لذلك يمكننا القول إن الدولة الفاطمية لم تعتمدعلى نظام الرهن،ولعل هذا يرجع إلى استقرار الأمور السياسية بين الخلافة الفاطمية،وغيرها سواء الودية أو العدائية حيث لم تستدع العلاقة اللجوء إلى الرهن، لأن العلاقة الودية بينها وبين غيرها كانت قائمة فى الأساس على التبعية، والإيمان المطلق من هؤلاء إلى الأئمة والتى هى جزء لايتجزأ من العقيدة المذهبية التى تقوم عليها الخلافة الشيعية.أما الأعداء لاسيما الدولة العباسية لم يكن ضمن علاقتهما حيث كانت الحرب هى الأسلوب الوحيد بينهما،والتى لابد أن تنتهى بالفوز أو الهزيمة لأى من الطرفين. لذلك لم يكن لنظام تبادل

الرهائن – والذى يستخدم عادة لمنع قيام الحروب– أدنى أثر فى حالتهما. فضلاً عن أن ظهور الخلافة الفاطمية تزامن مع ضعف الخلافة العباسية إلى الحد الذى لم يتمكن الخليفة من السيطرة على مقاليد الأمور،وصارت كلها فى يد القوى السياسية التى سيطرت على الخلافة.ومن ثم لم يكن هناك صدام مباشر بين القوى الشيعية فى مصر، والقوى السنية فى بغداد.

لم يكن للخلاف المذهبى أدنى أثر فى عملية تبادل الرهائن فلم يتم تبادل الرهائن بين الدويلات والأمراء على أساس مذهبى حتى الحالة الوحيدة التى كانت بين الخوارج و الدولة الأموية لم تتم للخلاف المذهبى بينهما بل تمت لأسباب سياسية فى المقام الأول. من أجل ضمان عدم تجدد حربهم للدولة.

كذلك مما يلفت الانتباه عدم وجود أى تبادل للرهائن بين السنة والشيعة – أكبر مذهبان دينيان وسياسيان فى الإسلام– .

حقق نظام الرهن السياسى نجاحاً كبيراً فى إقرار واستتباب الأحوال والأوضاع خاصة السياسية بين كافة القوى الموجودة على الساحة السياسية سواء القوى الإسلامية فيما بينها أو بينها وبين غيرها من القوى المجاورة.

منع نظام الرهن العديد من الحروب.والاشتباك بين كثير من الإمارات والدويلات التى ظهرت بالمشرق على وجه الخصوص، حيث سيطر نظام الرهائن على علاقتهم ببعض.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

(١) ابن الأثير:(ت٦٣٠هـ-١٣٢٨م)على بن أحمد بن أبى الكرم"الكامل فى التاريخ"(الطبعةالسادسة -دار الكتاب العربى-بيروت١٩٨٦، الطبعة الأولى-دارالكتب العلمية -بيروت١٩٨٧)

(٢) الأصبهانى(ت٤٣٠هـ-١٠٣٨م)أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهانى" حلية الأولياء" (الطبعة الرابعة- دار الكتاب العربى- بيروت١٤٠٥)

(٣) الأيوبى:(ت٦١٧هـ- ١٢٢٠م) محمد بن تقى الدين الأيوبى" مضمار الحقائق وسر الخلائق" تحقيق حسن حبشى(عالم الكتب- القاهرة)

(٤) برهان الدين: برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن مفلح" المقصد الأرشد فى ذكر أحمد الإمام" تحقيق عبدالرحمن بن سليمان بن العثيمين(مكتبة الرشد- الرياض١٩٩٠)

(٥) ابن بسام:(ت٥٤٢هـ-١١٤٧م)أبو الحسن على بن بسام الشنترينى"الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة" تحقيق إحسان عباس(دار الثقافة- بيروت١٩٩٧)

(٦) البصرى(٢٦٢هـ- ٨٧٥م) أبو زيد عمر بن شبة النميرى البصرى "أخبار المدينة" تحقيق على محمد دندن وآخرون(دار الكتب العلمية- بيروت١٩٩٦)

(٧) البندارى:الفتح بن علي محمدالبندارى الأصفهانى"تاريخ دولة آل سلجوق"(الطبعة الثالثة- دار الآفاق الجديدة- بيروت ١٩٨٠).

(٨) الثعالبى(ت٤٢٩هـ- ١٠٣٧م)أبى منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى" يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر" تحقيق مفيد محمد قمحية(الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية- بيروت١٩٨٣)

(٩) ابن الجوزى:(ت٥٩٧هـ-١٢٠٠م)جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن أبى الحسن على بن محمد "المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم"(دار صادر،بيروت طبعة مصورة عن دائرة حيدر آباد١٣٥٩هـ)

(١٠) ابن حجر العسقلانى: (ت٨٥٢هـ- ١٤٤٩م) الحافظ شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على محمد العسقلانى" الإصابة فى تمييز الصحابة" (دار الجيل - بيروت)، " الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة" تحقيق محمد عبد المعيد(الطبعة الثانية- مجلس دائرة المعارف - حيدرآباد- الهند١٩٧٢)

(١١) الحنبلى: (ت٩٢٧هـ-١٥٧٠م) مجير الدين الحنبلى العليمى"الأنس الجليل" تحقيق عدنان يونس وآخرون(مكتبة دنديس- عمان١٩٩٩)

(١٢) ابن حوقل: (ت أواخر القرن الرابع الهجرى) أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى "صورة الأرض" (طبعة دى غوية-١٨٧٠م)

(١٣) الخطيب البغدادى:(ت ٤٦٣هـ-١٠٧٠م) أحمد بن على أبو بكر الخطيب البغدادى" تاريخ بغداد" (دار الكتب العلمية- بيروت)

(١٤) ابن خلدون:(ت ٨٠٨هـ-١٤٠٥-١٤٠٦)عبدالرحمن بن محمد "العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون"(الطبعة الثالثة بيروت ١٩٩٦م)

(١٥) ابن خلكان:(ت ٦٨١هـ-١٢٧١م) شمس الدين أبو العباس أحمد ابن إبراهيم بن أبى بكر الشافعى "وفيات الأعيان" تحقيق إحسان عباس(الطبعة السابعة-بيروت ١٩٩٦).

(١٦) ابن خياط: (ت٢٤٠هـ- ٨٥٤م) خليفة بن خياط الليثى العصفرى أبو عمر "تاريخ خليفة بن خياط" تحقيق أكرم ضياء العمرى (الطبعة الثانية- دار القلم- بيروت١٣٩٧هـ)

(١٧) الراوندى:محمد بن على سليمان الراوندى"راحة الصدوروآية السرور"،ترجمة د عبدالنعيم حسنين وآخرون(المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية-القاهرة ١٩٦٠)

(١٨) السخاوى:(ت٩٠٢هـ-١٤٩٧م)شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" (منشورات دار مكتبة بيروت)

(١٩) ابن سعد(ت٢٣٠هـ-٨٤٤م) محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصرى الزهرى (دار صادر- بيروت)

(٢٠) السيوطى: (ت ٩١١هـ-١٥٠٥م) عبدالرحمن بن أبى بكر جلال الدين " تاريخ الخلفاء "تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد (الطبعة الأولى- مطبعة السعادة - القاهرة -١٣٧١هـ- ١٩٥٢م)

(٢١) الشافعى:(ت٥٧١هـ- ١١٧٥م)أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعى" تاريخ مدينة دمشق" تحقيق محب الدين العمرى (دار الفكر- بيروت١٩٩٥)

(٢٢) أبو شامة:(ت٦٦٥هـ-١٢٦٦م)شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى الدمشقى"الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية"تحقيق إبراهيم الزنيق(الطبعة الأولى- مؤسسة الرسالة- بيروت١٩٩٧م)

(٢٣) ابن شداد:(ت٦٣٢هـ- ١٢٣٤م)القاضى بهاء الدين المعروف بابن شداد"سيرة صلاح الدين الأيوبى" تحقيق سعد كريم الفقى(دغر ابن خلدون- الإسكندرية)

(٢٤) الشوكانى:(ت١٢٥٠هـ-١٨٣٤م)محمد بن على الشوكانى"البدر الطالع" (دار المعرفة- بيروت)

(٢٥) صدرالدين أبى الحسن :(ت ٥٧٥هـ-١١٧٩م) الصدر الكبير العالم صدر الدين أبى الحسن على بن السيد الإمام الشهيد أبى الفوارس ناصر بن على الحسينى "أخبار الدولة السلجوقية" تصحيح محمد إقبال (دار الآفاق الجديدة - بيروت -نسخة مصورة عن طبعة لاهور١٩٣٣م)

(٢٦) الصفدى: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى"الوافى بالوفيات"(طبعة دار إحياء التراث- بيروت ٢٠٠٠)

(٢٧) الضبى(ت٢٠٠هـ- ٨١٥م) سيف بن عمر الضبى الأسدى"الفتنة ووقعة الجمل" تحقيق أحمد راتب عزموش(الطبعة الأولى- دار النفائس- بيروت١٣٩١هـ)

(٢٨) الطبرى:(ت٣١٠هـ-٩٢٢م) أبو جعفر بن جرير الطبرى" تاريخ الرسل والملوك"طبعة دار المعارف- القاهرة١٩٧٩م)

(٢٩) ابن عبد الحكم: (ت ٢٥٧هـ- ٨٧٠م) أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله عبدالحكم بن أعين القرشى المصرى" فتوح مصر وأخبارها" تحقيق محمد الحجيرى(الطبعة الأولى- دار الفكر- بيروت١٩٩٦)

(٣٠) ابن العميد:(ت ٦٧٢هـ- ١٢٧٣م) الشيخ المكين جرجس بن العميد" تاريخ المسلمين"(طبعة ليدن ١٦٢٥م)

(٣١) أبو الفدا:(ت ٧٣٢هـ-١٣٣١م) إسماعيل بن على عماد الدين صاحب حماه"المختصر فى أخبار البشر"(طبعة القاهرة)

(٣٢) القرطبى(ت٤٦٣هـ-١٠٧٠م) أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمرى القرطبى "الإنباه على قبائل الرواة" تحقيق إبراهيم الأبيارى(دار الكتاب العربى- بيروت١٩٨٥)

(٣٣) ابن كثير:(ت ٧٧٤هـ-١٣٧٢م) عمادالدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثيرالقرشى الدمشقى "البداية والنهاية" (طبعة دار الغد العربى١٩٩٦م)

(٣٤) كمال الدين: عمر بن أحد بن أبى جرادة " بغية الطلب فى تاريخ حلب" نشر سهيل زكار (دار الفكر)

(٣٥) أبو المحاسن:(ت٨٧٤هـ- ١٤٦٩م)جمال الدين يوسف بن تغرى بردى" النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة"(دار الكتب المصرية)

(٣٦) محمد بن أبى يعلى(ت٥٢١هـ-١١٢٧م)محمد بن أبى يعلى أبو الحسن"طبقات الحنابلة" تحقيق محمد حامد الفقى(دار المعرفة- بيروت)

(٣٧) المسعودى:(ت ٣٤٦هـ-٩٥٦م) أبو الحسن على بن الحسين بن على "مروج الذهب ومعادن الجوهر"تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد (دار المعرفة -بيروت ١٩٨٢م)

(٣٨) مسكويه:(ت٤٢١هـ- ١٠٣٠م) أبو على أحمد بن محمد "كتاب تجارب الأمم"(دار الكتاب الإسلامى -القاهرة ١٩١٤م)

(٣٩) المطهر بن طاهرالمقدسى:" البدء والتاريخ" (مكتبة الثقافة الدينية-بور سعيد)

(٤٠) المقدسى:(ت٣٨٨هـ -٩٩٨م) شمس الدين أبى عبدالله بن أحمد بن أبى بكر الشامى المقدسى المعروف بالبشارى" أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم" (الطبعة الثانية- طبعة دى غوية- ليدن ١٩٠٦م)" الروضتين فى أخبار الدولتين"(طبعة دار الجيل - بيروت)

(٤١) المكى(ت١١١١هـ-١٧٠٠م)عبدالملك بن حسين بن عبدالملك الشافعى العاصمى المكى"سمط النجوم العوالى" تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وآخرون(دار الكتب العلمية- بيروت١٩٩٨م)

(٤٢) نظام الملك الطوسى:(ت٤٨٥هـ-١٠٩٢م) حسين الطوسى" سياست نامه" ترجمة يوسف حسين بكار(الطبعة الثانية- دار الثقافة-الدوحة قطر ١٩٨٧)

(٤٣) الهمدانى:(ت٥٢١هـ- ١١٢٥م) محمد بن عبدالملك بن إبراهيم الهمدانى أبو الفضل "تكملة تاريخ الطبرى" تحقيق ألبرت يوسف كنعان(الطبعة الأولى- المطبعة الكاثوليكية- بيروت ١٩٥٨م)

(٤٤) ابن واصل الحموى:(ت ٦٩٧هـ-١٢٩٨م)جمال الدين "مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب"تحقيق جمال الدين الشيال(القاهرة١٩٥٣)

(٤٥) الواقدى:(ت٢٠٧هـ-٨٢٣م)محمد بن عمر بن واقدالسهمى الأسلمى أبو عبدالله الواقدى" فتوح الشام" (دار الجيل- بيروت)

(٤٦) ياقوت:(ت ٦٢٦هـ- ١٢٢٩م) شهاب الدين أبو عبدالله الحموى الرومى البغدادى"معجم البلدان" (طبعة دار صادر- بيروت)

(٤٧) اليعقوبى: (٢٨٢هـ - ٨٩٥م) أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح "تاريخ اليعقوبى"(طبعة دار صادر- بيروت)

ثانياً المراجع العربية و الأجنبية :

(١) حسن إبراهيم:"تاريخ الإسلام السياسى" (طبعة الثالثة عشرة- دار النهضة المصرية- القاهرة ١٩٨٧م)

(٢) لسترنج: "بلدان الخلافة الشرقية" ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد(الطبعة الثانية-مؤسسة الرسالة-بيروت١٩٨٥م)

(3) Amedroz:"ThreeYears of Buwaihid"1908.
(4) BernardLewies:"The World of Islam" London,1976.
(5) David Thomes:"Middle East and Islamic Studies"
(6) Kremer Alfred:"The Orient under the Caliphate " Clacutta, 1920.
(7) Muir Sir Willim: "The Caliphate "Edinburg, 1970.
(8) Noei .J.Couson: "A History of Islam Law" Edinburg.
(9) Schaban.M.A:"The Abbasid Revolution of theSocial and Political".
(10) Tilaman.Nagel:"The History of Islam" Amzoon,2000